

AMERICAN UNIV. IN CAIRO LIBRARY



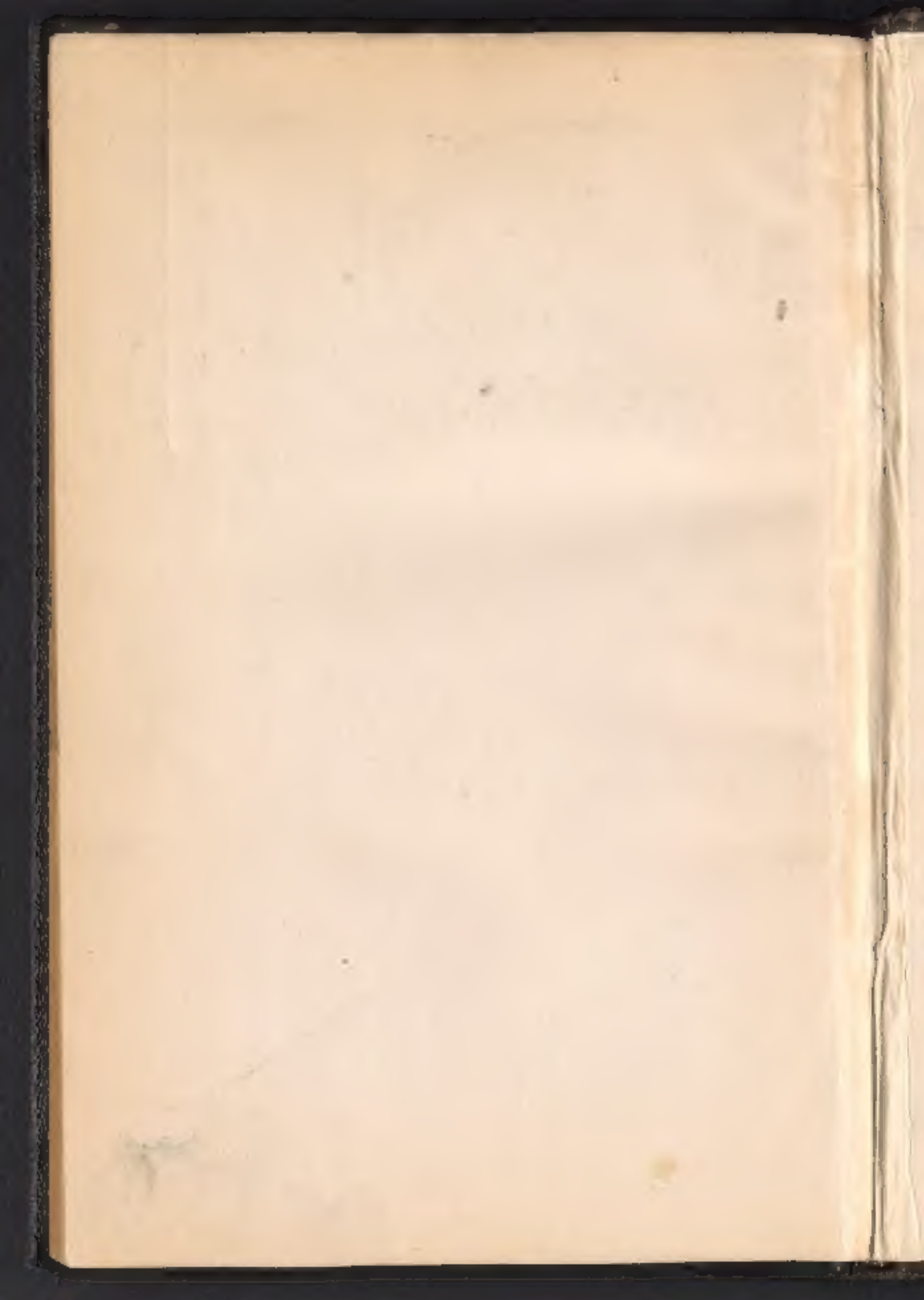
3 8534 01000 6850

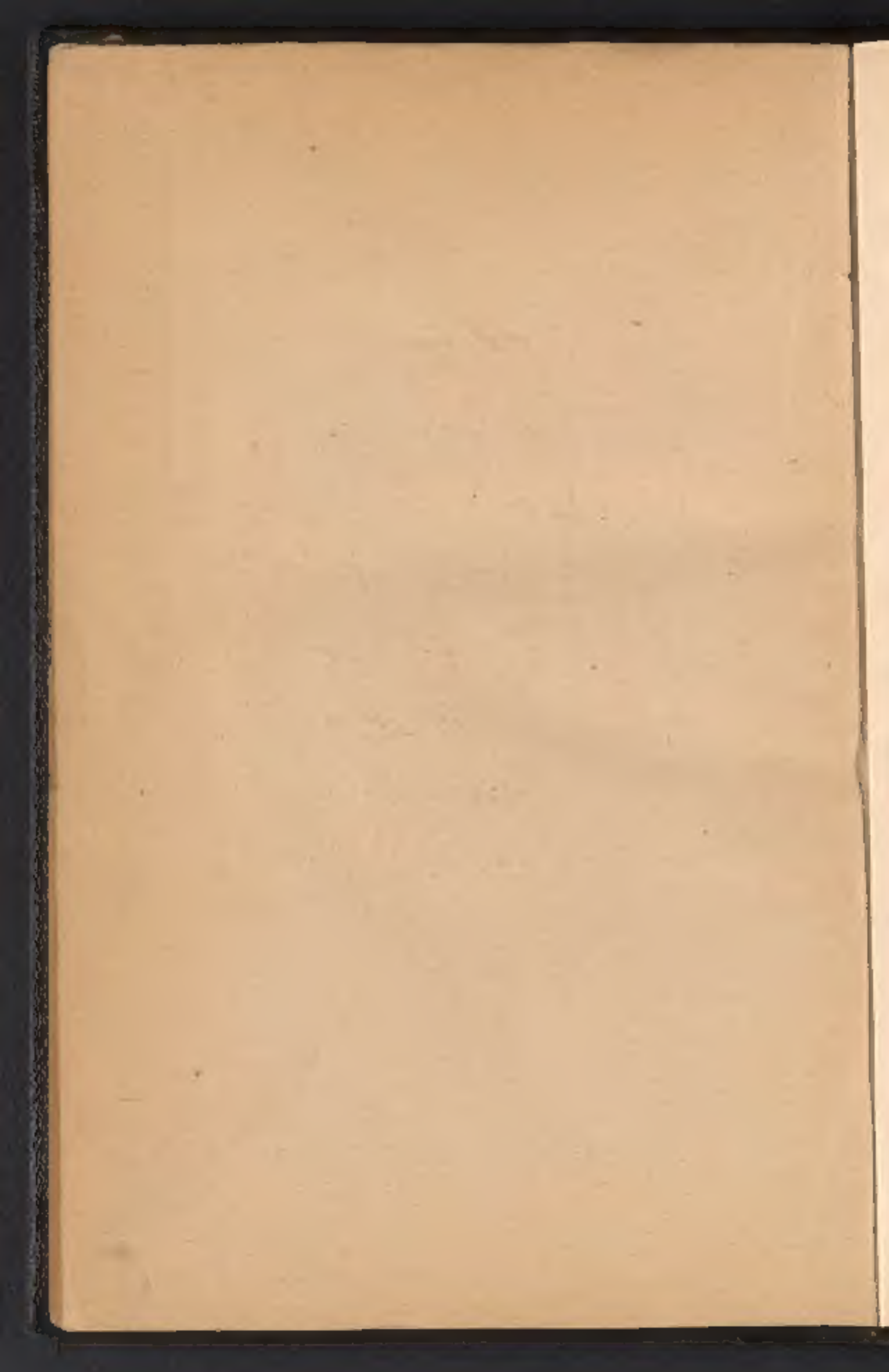
0
3
Z
K
12

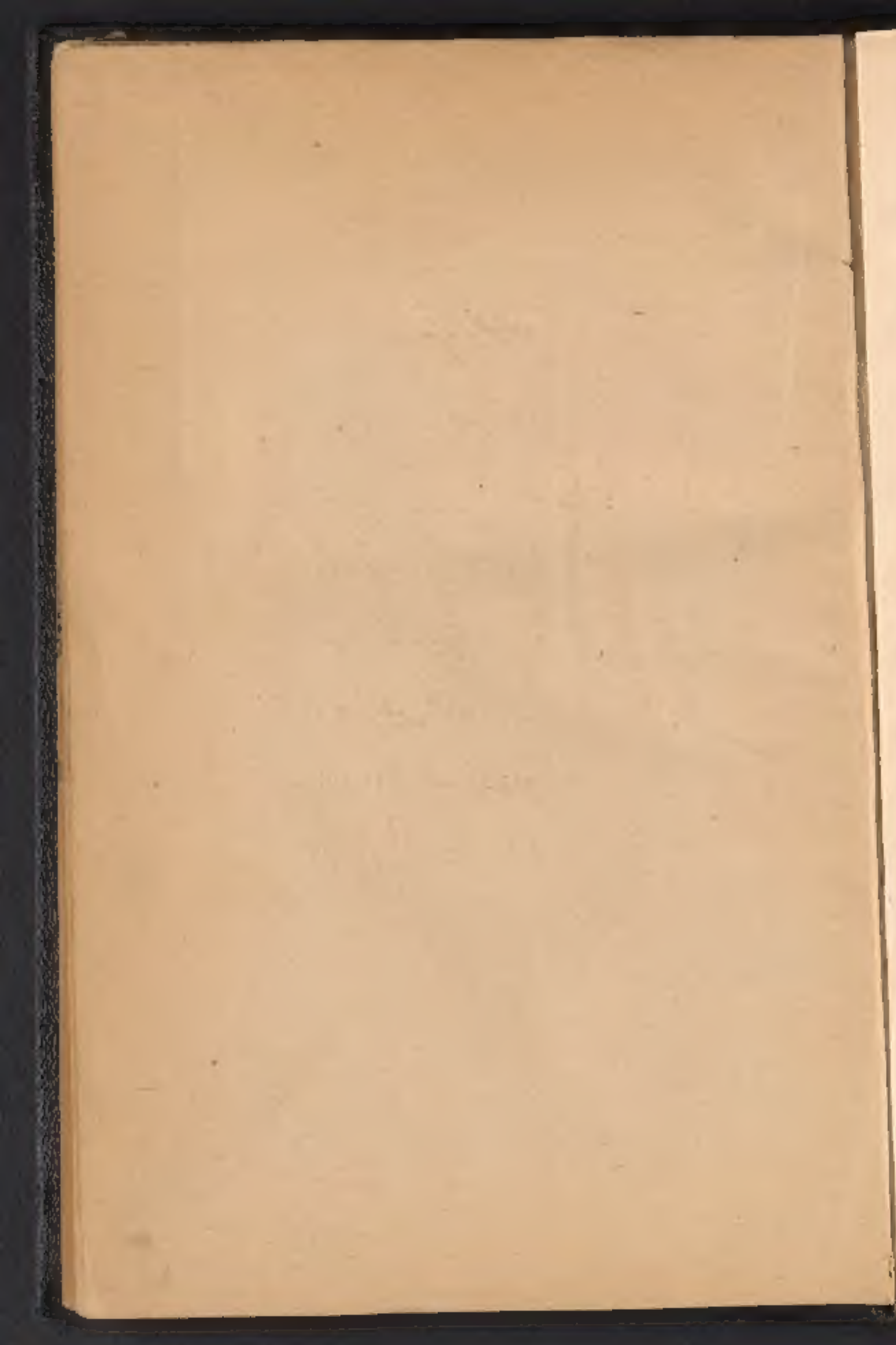
64-133594

पु 16-9-04









كتب المؤلف

حبة الرمان (قصص عربية)

امريء القيس (دراسة تحليلية)

تورة يمدبا (مسرحية شعرية)

حقوق الانسان

و هل يخفى القمر

النقد والدراسة الادبية

مجنوسي في الجنة (قصص)

رُفِيفُ خُزَرِي

D5
63.6
288
K5
1941
12

مِغَالِمُ الْوَعْدِ الْقَوِي

مِنْشُورَاتُ دَارِ الْكِتَابِ

بِغُوت * ١٩٤١

- طبع من
هذا الكتاب
الفا نسخة على ورق عادي

جميع الحقوق محفوظة

37421

جاء في الكتاب : « في البدء كان الكلمة . »

.

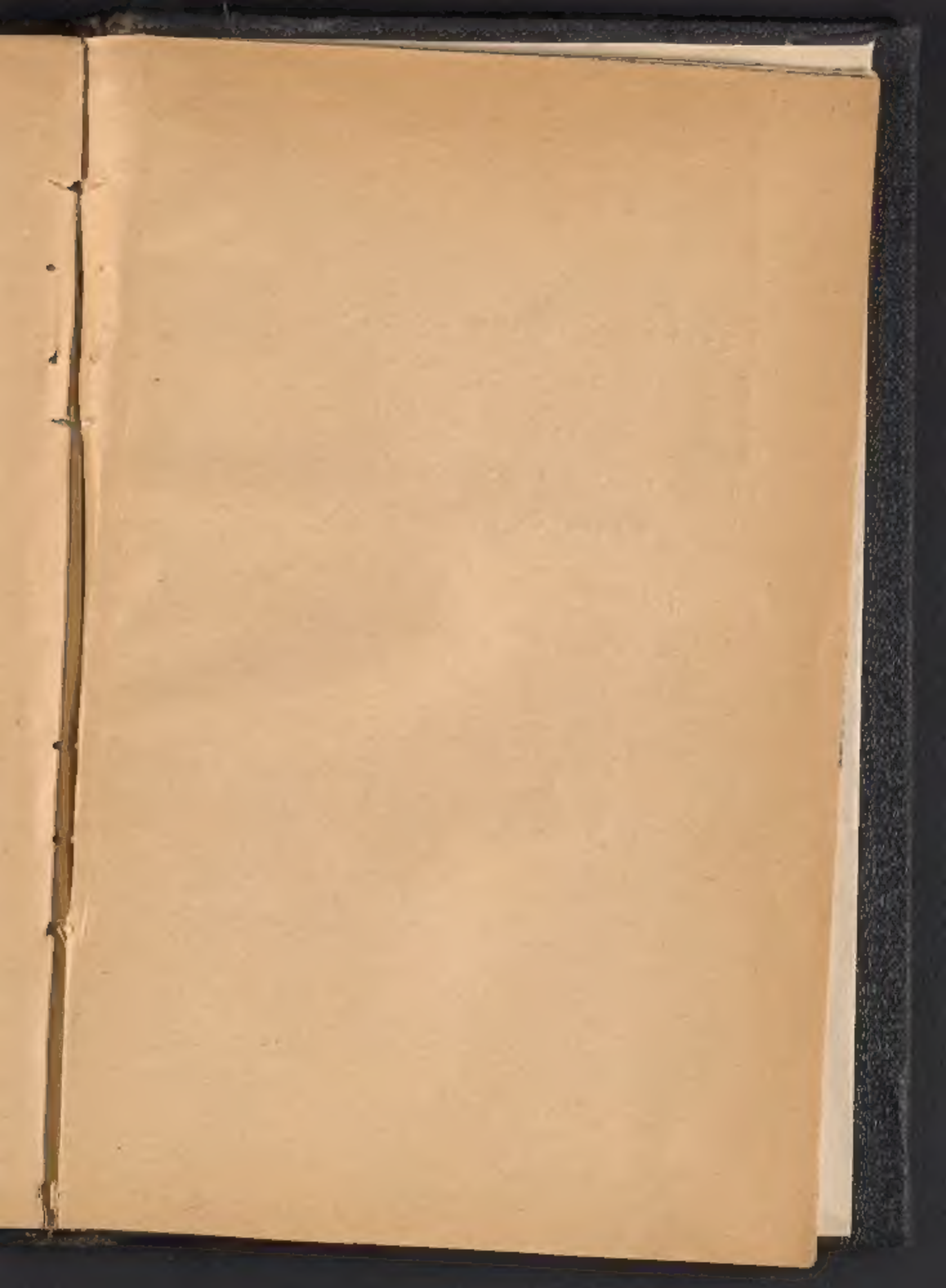
كلا ! في البدء كان الفكر . »

.

يل قل : « في البدء كان العمل ! »

غوة

في « فاوست »



مقدمة

في الاندية جميعها حديث متصل عن القومية ، ولبس الامر
بموجب . قطبي ان يحكمز الاحد والرد في هذا الموسوم
اليوم .

و كنت منذ امد قد عقدت النية على الخوص في هذا
المجال مع الحاضرين ، ثم رأيت من الخير ان اعمد الى بعض
ما كتب عن القومية عندنا فانظر فيه ، واهلق عليه . والحق
ان ما قد كتب عن القومية في اللغة العربية ليس بيسير
القدر ، فخشيت ان يقع العمل امامي وينشق في وجوه ،
فتضيع الفائدة المرجوة . ولذلك عزمت ان احصر عملي في
كتاب واحد ذي قيمة احترم كاتبه . وصدر « الوعي القومي » (١)
للكنور قسطنطين زريق ، وهو من الشباب الذين يحرصون
على ان يكون لهم تفكير جدي رزين في القضايا .

(١) منشورات « دار المكشوف » - بيروت - الصفحات الاولى ١٩٣٩ .

فأرسلت كلمة أولى في لكتاب (١) ثم كلمة ثانية أوسع (٢)
 وسكبي في الكلمتين كنت مستعجلاً وقد اديت فيها اعترافاً
 عاماً بفضل الدكتور لا أترجح عنه . وها أنا اليوم أعيد
 الكرة للمرة الثالثة ، وقد شعرت أن النظر الثاني في هذا
 الكتاب ولتعميق التعميم عليه إنما يستدرج إلى معالجة
 موضوع القومية الخطير .

فهذا السفر الذي تحده بين يديت أيها القارئ هو نقد
 لكتاب «نوعي لقومي» . وآمل أن أكون وفقت فيه إلى أكثر
 من نقد كتاب «مبينه» ، فردت بعض وصوح مسائل لم ترو
 محلولة جامعة حتى في أذهان بارزي وحار الثقافة ما . . .

رؤف خوري

١ حريدة «مكتوف» العدد ٢٦٢ .

٢ حريدة «مكتوف» عدد ٢٧٣ .

معرض الكتاب ونظرة عامة فيه

يقول الدكتور ذريق في مقدمة كتابه :

« ليس هذا الكتاب الذي اصممه الآن بين ايدي القراء بحثاً منظماً في العقيدة القومية على النحو الذي وصفت »
(ص ٢٧) .

ثم يقول :

« فلقد اقدمت على نشره ، على انه خطوة اولية متواصلة
الح . . . » (ص ٢٨) .

واذن ، فمن الانصاف للاستاذ ذريق ان نأخذ به من
الاعتبار ان كتابه قصور لم يقصد بها الى « بحث منظم » ،
وانه « خطوة اولية متواصلة » . غير ان ذلك لا يجوز ان
يعتبر مرراً لكل نقير او ارتباك من الدكتور خصوصاً
وهو يقول عن فصوله انها « تؤلف وحدة فكرية روحية بما
تصدر عنه من عقيدة واحدة تشيع فيها جميعاً » (ص ٢٧ -
٢٨) ، بل لا يبيح ان الدكتور لم يضع امامه اعراضاً اراد

(١) شكل ارقام الصفحات تبع موضع المقطوعات في حصة ثانية .

ذوق .

القيام بها في هذا الكتاب الذي دفعه الى الجمهور .

فما هي اغراضه ؟

يقول في مقدمة الطبعة الاولى :

« ليس من امل للنهضة القومية العربية ما لم تكن مستمدة من « فلسفة » قومية تصور روحها وتحدد اتجاهها وتنصب لها الاهداف وتعين لها السبل والوسائل » (ص ١٩) .

ثم يقول :

« امي متيقن بالوقت نفسه ان ذلك الجهاد لا يبلغ حايته الا اذا كان مدعوما بفكر واضح نير ، وان هذا العمل لا يتح حقا الا اذا صدر عن رأي بصير وعقل مدبر » (ص ١٩ - ٢٠) .

واذن ، فيحق لنا ان ننظر في الكتاب « فلسفة قومية » و « فكراً واضحاً نيراً » .

بل ان الدكتور يرسم امام النهضة القومية العربية كي « تستكمل شروطها وتؤدي نمارها » « ثلاث خطى رئيسية يترتب علينا اتخاذها بحزم ونشاط » (ص ٢٠) .

وهي :

(١) انشاء « فلسفة قومية » شاملة واصحة منظمة .

(٢) أن تُنصر هذه الفلسفة في فكرة مقطرة تقيية صافية يشرها ابناء الامة ويتمزج بمناطقهم المتوثبة وشعورهم العياص

فيحصل من هذا المزيج المبارك « عقيدة » قومية .
 (٣) « تنظيم » الأمة العربية وضبط مواضعها واخضاع
 شهواتها وارادتها للارادة الوحيدة المنبثقة من « العقيدة
 الواحدة » (ص ٢٠ - ٢١) ، اللفظ له .

فيحق لنا ضمناً ان ننتظر في الكتاب بعض التطبيق لهذه
 الخطى ان لم يكن كل التطبيق ، والا فلا يعمد الكتاب ان
 يكون اكثر من حملة مواضع وارشادات : بحب ، وبغب ،
 وبحب وقد بدأ قال المرى : « كم وعظ الواعظون منا ! »
 ولكننا نقرأ سفر الاستاذ زريق فلا نكاد نجد اراً لما
 وعدنا ، او وعدنا به اصلاً ، انكالا على مقدمته .

فبشأ نبعت عن موضوع يقول لنا فيه المؤلف : هذه
 هي « الفلسفة القومية » او هذا هو اساسها .

ولله شعر ان كلمة « فلسفة قومية » عامصة جداً ، فوصفها
 بين قوسين مزدوجين . وواقع ان قولنا « فلسفة قومية »
 حري ان يسوقنا الى تورط وارباك اذا كنا نتوحي ان يعبر
 منا القراء شيئاً معلوماً محدداً . لان الفلسفة بحورها ومضامها
 الملهي فتاح فكري لشري عام (١) . فلو قلنا مثلاً فلسفة المانية

(١) وقد من الدكتور بشي من هذا حس فر . « هذه هذه امر » .

في حورها وحدة لا تتجزأ » (ص ١٧٥) .

او فرسية او عربية فلا يجوز لنا ان نقصد (اذا كف
 نقصد معنى مضوطاً) اكثر من ان هذا المنحى القلبي او
 ذاك (أي : هذه النظرة او تلك الى الوجود والمجتمع البشري ،
 نوع خاص) هو المنحى الاوسع انتشاراً بين المفكرين الالمان
 او الفرنسيين او العرب ، به يثثرون في حبسهم القومية
 واتجاهاتها ، كما ان هذا المنحى القلبي نفسه يتأثر جداً بالحياة
 القومية والعالمية واتجاهاتها .

وبعد ، أليس من الصحكات ان نفكر حديثاً برسم فلسفة
 قومية اولاً ، كأ ان القصية قضية خارطة هندسية ، ثم نعد
 على اساسها الى تشييد كيائنا القومي ؟

ولكن لم انا حريص على . حصار . هذه الكلمة
 . اعلنة القومية ؟ لاني اراها قد بنفنا مدناً سحيماً من
 الحرص على اصفى القومية بكل شيء . والامس ما سمعت من
 احد المتقين ان العرب انما يرمون الى بناء « حضارة قومية
 خاصة » ، ولا يرصون حصاراً في السلم . وهذا كلام ترجته ،
 حسب العهد البشري : ان العرب لا يريدون سككاً حديدية
 . مثلاً لاها تكثر في اميركا ، وان استعملوها فلا تكون
 حصارتهم « قومية عربية خاصة » . ولكنهم ان لم يستعملوها ،
 ان اطرحوا السكك الحديدية والسفن والجسور وشئ الآلات
 ، «صناعية » فاي حضارة يننون ، خاصة او غير خاصة ؟

وعنى هذا القياس ، اذا فهم قراء الدكتور ، الفلسفة القومية ما يفهمه ذلك المثقف ، الحساسة القومية الخاصة ، واي قرار صحيح من السخافة يتدهور اليه ؟ اي حجة مثلا ان يقول عامل : ما لنا ولا نرسكو وديكارت وهيكل ، فهؤلاء لا يدخلون في فلسفتنا القومية ؟ ما لنا ولدرس نخدر القوميات الاخرى ، ففلسفتهم حتم عبر فلسفتنا ، او فلسفتي يسمى ان تكون عبر فلسفتي اوست اسي مرة قلت فيها : ان البداوة والامساع العشائرية بنفس القومية كل انماضه ، فمن اهم اهداف القومية العربية اذن تحضير البدو : توزيع اراضي عليهم وببشر اوسان لهم ليعمرهم . وحبي خيب : هذه ليست من الفلسفة القومية ! — ذه ' ذه !

واني مطمئن الى ان الاستاذ رزوق لا يرمي الى شيء من هذا اهرام امة . وفي كتابه نفسه ما يمشي على هذا الاممستان . غير اني لا ازال اذكر عليه هذه الفلسفة القومية ، لاها . عدا ما استعنا — حقيقة ان نهد بعض القراء بنفسيها وتصبح نعمة مغايرة تكرر مداها الى ما شاء الله : فلسفة قومية ، فلسفة قومية !

خصوصاً والدكتور نفسه قد سكنت في لباقة عن تفسير هذه الفلسفة القومية في « فكر واضح نير » لو « عصرها في فكرة مقطرة نقية صافية » . فدعنا الى ان « متعدد ان

لنا رسالة ما « « « وان تؤمن انها اعدت لنا واننا اعددنا لها »
(ص ٥٥) « فحسبنا » ذلك « كما سنرى »

ولما كانت هذه « الفلسفة القومية » غير محددة و«كان
« حسبنا ان نعتقد ان لنا رسالة ما » فقد طهر تقصير الدكتور
حين عرض له ان مس بموسوع تنظيم الامة العربية فلم يكن
عنده شيء على يقدحه لنا الا مشاريع افاش القرى والكثفية
وشر بعض المخطوطات القديمة . وافرق في المواعظ والارشادات
كوجوب نبذ المادة والانسلاخ من الانانية وضرورة الجهاد
الاكبر « جهاد النفس الصوي » . وعلم جراً بما قد سمعناه
مرة بعد مرة بعد اخرى في كل كتاب ومدونة من مدارس
الاحد .

ولكن علام نستعمل الامور ؟

« الفلسفة » في كتاب « الوعي القومي »

على اننا سنقتصر في كتاب الدكتور عما فيه من « اساس فلسفي » ، يلحح لحدّ خلال الطور هنا وهناك .
 من المسائل البدائية ، بل المسألة البدائية في الفلسفة عامة ،
 قضية الفكر والمادة . اي اول : الفكر ام المادة ؟
 اما الذين يقولون باسبقية الفكر على المادة قائلين المثاليون .
 واما الذين يقولون باسبقية المادة على الفكر قائلين الماديون .
 (مع العلم ان المثالية هنا هي غير المفهوم الخارج منها اي :
 الاعتقاد بتلّ اعلى ، والمادية هي غير التهاك على المال والمأكل
 والشهوة) .

أمثالي الدكتور في كتابه ام مادي ؟ بتسمير آخر ،
 أيمتقد الدكتور ان الفكر او الادراك هو سابق للمادة ،
 لتكون الخارجية والطبيعة ، ام يستقد ان المادة سابقة للفكر ؟
 يقول :

« حقاً ان قيمة الانسان وثقافته وسادته كلها تنوّه على
 اتساع عالمه الروحي . والرجل الامثل هو الذي يشمل عالمه
 الكون بأسره . والنشر بكاملهم ، لا بل هو الذي يشق حجب

الأرض والسماء فينفذ بصره الى ما وراء لكون وينطلق على
اجنحة الخيال فيمتد نظره على جميع عوالم الطبيعة والانسان .
هو الذي لا يكفيه الحاضر بمشاكله ومشاعله ، وإنما ينشئ
الماضي بمرته وآلامه والمستقبل بآماله واحلامه . فهو بحق
ابن العالم بأسره والزمان بكامله . (ص ٢٢١) .

وفي هذا الكلام ما قد يستغربه على من يستشعر نظرة
الدكتور ذريق الى الفكر والمادة . فلمحاول . يرى الاستاذ
في يرى ان الرجل الامثل هو الذي يشمل عالمه الكون
بأسره والمشر بمكاملهم ، هو بحق ابن العالم بأسره وارسلان
بكامله . وهو رأي لا بأس به ، الا ان يقصد قصد بعض
المنصوفين مثلاً حين يدعوا الى تجاوز ما بسحوه « التمييزات
الوهمية » و « العروق الظاهرية » في هذا الكون واهله ،
قيموعون السلام والمجتمع تبيماً وبصبح « لبناً رائباً » او
« شوريا » (١) . « دودة اخط الانسان كما يقول ميخائيل نعيمة ،

١ . الحق حصة . الدكتور قد وضعه ، رجل الامس دي هو
من هم أسره . من كلمة . سرع الى شه استدرارك في ما يخص
العرب (ص ٢٢١ - ٢٢٢) . والمفهوم ضمناً من كلامه هناك ان العربي
لا يستشعر يوم . لكون الرجل الامثل ، بل عليه في توسيع عالمه الرومعي
ببصره على دهر عربي . و الدكتور من جيد في فهمه لرجل
ومن عرفه هو د . د . « يوعون » الرجل الامثل ويوعون العالم

الكون كما نحن بحاجة الى فهم الكون نفسه ، الى ان « يمتد
نظرة الى جميع عوالم الطبيعة والانسان ، لا من شباك من
وراء الكون ، ولا من اجنحة خيال ننطلق عليها ، بل من
درس حقائق الكون . واذكر المناسبة كلمة لـ « باكون »
مؤداها : اننا لسنا بحاجة الى رئيس حين نصير به بل الى
« تفلات » من دصاص ترس بنا الى الحقائق .
ومن المسائل الاولى في الفلسفة عامة قضية المعرفة واخرية .
كيف نعرف ؟ هذا سؤال فلسفي اساسي . ومثله السؤال :
ما هي الحرية ؟

يدعو الدكتور دعوة متكررة الى اتباع اساليب البحث
العلمي فيمتري ان الحقائق العلمية نسبية ، وفي كتابه حل
الصحيحة حد كقولها : « ان دائرة المحيوس اوسع كثيراً من
دائرة المعلوم » (ص ١٩٢) و « ان ما يصيب المرء في
حياته من حقيقة ليس سوى جزء ضئيل لا يصح معه اي
تكبر او افتخار » (ص ١٩٣) .
ووصله عن الثقافة الصحيحة وعناصرها تمتع على وجه
عام ، ويحذر بجميع متفنيين قراءته وهمم « فيه » ومنهم
الدكتور نفسه واه .

الا انه لا يلبث ان يقول لنا كلاما كالذي يلي :
« اما ذلك الاسلوب الفكري الذي سوره فيختلف عن

المعلومات الخارجية المنفرقة في انه لا يبقى من الخارج ، بل يجب ان ينمو من الداخل بنتيجة جهاد شديد متواصل قد يستمر سنين طوالا (ص ٢٤٩) .

ولعل الاستاذ زريق لو نقل هذا الكلام الى لغة صريحة لم نجد به بأساً . ويمكن قوله ان ذلك الاسلوب العسكري الذي صوره لا يبقى من الخارج بل يجب ان ينمو من الداخل ، قد يؤخذ مأخذ الخس على الرياضات الصوفية لاكتساب المعارف . وصواب جداً ان الاسلوب العسكري الصحيح يختلف عن المعلومات المنفرقة ، ولكن ما معنى قوله المعلومات الخارجية ؟ أترى يعني السطحية ؟ ام يقصد المعلومات التي يكتسبها الانسان من التأثير والتأثير في العالم حوله عن طريق حواسه وعمله واستنتاجه العقلي ؟ ان كان قصده هذه المعلومات فليس لدى البشر معلومات الا وهي خارجية بمعنى انها مستقاة من الكون خارج البشر عن طريق حواسهم وعملهم واستنتاجهم العقلي .

وبعيد علينا الدكتور زريق مرة اخرى ذكر هذه المعلومات الخارجية ، ويشتم من حديثه رائحة الازراء بها ، فيقول (والصمير في كلامه يرجع الى المعرفة) :

« لا نقصد بها تلك المعلومات الخارجية المنفرقة التي نعمل بها اشخاصنا ، بل هي هيئة روحية نحصل للنفس من استمرار

المبحث واستخراج المعلوم من المجموع وشرقي نور الحقيقة على
الأساس (ص ٢٤٧) .

هيئة روحية : هذا نصير تمورده ورحمة او له
بهم . مصالح تدني مني . وادواني اني . وقت يدكتور
المرأة صحبة في وقت الحديث عنها . ان هي
روحية احدى . ووقت به انها هيئة روحية تحصل
بتمرار . استخراج المعلوم من المجموع وشرقي نور
حقيقة على ان (ان ان به سموت في لستم .
الاساس من طبيعة الخواحي . ان : من يكون حوله)
فان في : وان . بتمرار تحت هذا . استخراج
المجموع من المعلوم وشرقي نور الحقيقة . يمكن
استكشافه . ان يكون حوله ؟ فيخرجي حله . الا ان
اقول به ان كل ذلك : (بتمرار لبحث واستخراج المعلوم
من المعلوم وشرقي نور الحقيقة) يقع في دخيله . في وكم
صغيري بالعلم . وروية . رؤي . بالعلم . وعبود . الارادش .
والعلمة . صوفية . كما . وفتح صريفة . كيفة على
نصير الفراج لا كنة . ان هي . وشرقة وهي
قومي مكين . كيان . قومي . على اسسها .
واما التجربة فتقسمة للمعرفة او هي اصل . بقول ان كنور
ذريق . المرء . عباداً لما حوله ما دام يحمله . (ص

يحمل تحرد عن العام واعراق في التأمل بشي بيد تمتد « من فوق » فزيج الافشية ونقد النور في قلب ...

وان كان لا يحملها هذا الحمل فلا يبقى لقوله « من الداخل » و « داخلية » موجب البتة . لان كل المعنويات كالحرية والمعرفة انما هي « داخلية » في الادراك الانساني ، ولكن مصادرها ووسائطها من الطبيعة والكون حول الانسان انت عن طريق الحس واللمس والاستنتاج . واصرار الدكتور مثلاً على حمل الحمل من القيود الداخلية (ص ٢٤٦) فيه طرافة . ليس قولنا « الحمل من القيود » يعني ؟ وكذلك اصراره على « اصلاح شامل متوازن مصكف بالجهد العقلي الداخلي » (١٨٩) كأن احداً من الناس رأى « جهداً عقلياً » عبر « داخلي » في دماغ انساني ما .

ولكن الاستاذ ذريق : أي الا ان يكون كل شيء ذي قيمة « من الداخل » او « داخلياً » يحصل في النفس او العقل . وما ما هو « من الخارج » او « خارجياً » فيمر به مر استخاض ! وهذا أثر من افماله بنسيات لصوفيين وتابيرهم المعاة .

واقف من الدكتور بقضية الحرية في موضع آخر من كتابه قال :

« فيقدر ما يكون المرء عبداً لما هو اعظم منه يصح

حرّاً في نفسه ، وبقدر ما يعني شخصيته فيما هو اوسع منها
يعنى البقاء الحقيقي الذي لا نشوبه شائبة ولا يعتريه وهن ،
(ص ٢٢٨) .

واول ما سافعل بهذا الكلام في الحرية ان احربه على
لسان طاعية من الطماعة : نيرون مثلاً . لو فرضنا ان هذا
الامراطور السيد الصكر احس بقوم من رعيته يتطلبون
الحرية أفكان يجد احسن من ان يخطبهم قائلاً : تريدون
الحرية ؟ انا ادلكم . امراطوري هي شيء اعظم منكم ، من
ينكر ذلك ؟ واتم عبدي . (ومن ثم يقرأ كلام الدكتور) :
« فيقدر ما يكون المرء عدواً لما هو اعظم منه يصيح حرّاً
في نفسه ، وبقدر ما يعني شخصيته في ما هو اوسع منه يبقى
البقاء الحقيقي الح . » فازدادوا عبودية لامراطوري تردادوا
حرية ، وازدادوا فناء في ما هو اوسع منكم ترددوا بقاء
حقيقياً .

واني لوقن ان الدكتور زريق لا يقصد ان يستفح بكلامه
نيرون وامثاله . ولكن حسن القصد « الداحي » ، اذا سمح لنا
الدكتور ان نستدير منه نصاً مستحاً عنده ، لا بكى . ومنه
كلامه المبهم في الحرية التي هي عبودية المرء لما هو اعظم منه ،
جدير ان يحجر بلبسة وخطاً في الفهومات ، والاستاذ حريص
على التفكير الواضح التير .

وارتد هي الحرية والسياسة قد يتخلص السان في كبت
بهمه ونفوسه ، نازل عن العالم الخارجي ، واستغثت قيوده
عني ، وقد حررت خيرة نسي واستغناها به .

والواقع ان هذه الحرية ، تعني في جميع انواع المعز
والاحكام ، عني لا امرع قيود الاسان من حمله على نجاحها
او الفقدان ، كاطبيب الذي يتعسر في معاينة مريض
تيفوس على قوله : اس اس مريض .

الحرية الحقيقية ، لا اوهية ، هي المسية على المعرفة
الحقيقية ، على ادراك الكون حوسا واستكشاف نواحيه
علميا ، وما قدمه من وسائل ، وسجود الحرية .

لا يوافق الدكتور ان الاسان في تصور السجدة
كان مثالا حرا عن اختيار الاطباء ، لكنه كان يحس ان
الحشب يوم في الماء ، وانه يستقيم ان ركب حشمة فكان
بهذا الخوف غير حر (من ناحية من الواحي) . ثم رأى
يوم شجرة انفتحت وسقطت في سحر فضاء ، فخطر له حشر
اعداد حشبات وركوبها . ثم ادرك ان حشمة هذه لا تسير
به الا مع تيار في الماء المنطلق ، ولكن في الماء تراكد
لا تسير . في امث ان احرق حشما ، وهكذا تم له روبرق
بسيط ، وصبح حرا على اختيار الاطباء وعد تقدم في صناعة
الملاحة وتحويل وسائلها ، وتنمو بذلك حريته وقدرته على

محرر الاحج حتى سبع مئة يوم . . . ان الاست انتظار
حرية الدكتور في تنوير من لداخ و ليعر لاهر لكنه
لا زال الى اليوم حاسين حتى سنة ١٩٠٣ او بحيرة منتظر .
على ان الدكتور رشا . . . : . . . لا يمدون
المضاي الا عن صديق المادة ، . . . قد احدث انهم ابروحيه
من الاعتد .

فلسف في قضية اروح واددة عنه .

يقول الدكتور رزيق :

« انما الحق ان نقول ان هدييات العصور القديمة في
ذهت في شرق . . . رسالة روحية ، . . . ان هديسة اعصر
الحديث التي اردعرب في العرب لا تزال في شككها الطاعي
مدية . ولكن هذه هديسة الحديثة احب نالح لشرق انشاء
فقد نق ر . حينه اثرأ يذكر ، وطما سيل المسادة فصر جميع
نواحي الحية فيه » (ص ٢٢٣) .

وقول في وصف المنع من . . . بصحيحة وعناصرها ،
اذ يتحدث من حرصه على ايصال المقصود من لفظة « ثقافة » :
« لا اقول ان لا اقدم تفاسير . . . من لانير
اهتم الباحثين بصورة هذا العمل الاصلاحى ، فيمدوا الى
هذا وغيره من الاخط الاساسيه في بحث العمليه الحديثة
ويأخذوها بالبحث والتجميع » (ص ١٨٢) .

ومن هذه الالفاظ الاساسية في لغتنا للمعبدة الخبيثة لفضة
الروح والمادة ؛ فقد دلنا لفظي الروح والثانية كثيراً على
ما اطن وشوهنا لفظة المادة . ومرجع ذلك هو طغيان المفهوم
الاحلاقي بالالفاظ عندنا . فالامر الروحي ميل نقي ، والانسان
المثلث هو صاحب المبدأ الذي يترفع عن انسايا ، ام الرجل
المادي فهو الذي سكر وبشاهك على المال وليس له عقيدة .
ولا حاجة الى مدح كثير الدكتور ان هذه المفاهيم مستمدة
لالفاظ الروح والمالية والمادة في ميدان المصنعة . ولكن ما
اعمل ، والدكتور ذريق متورط في هذه المفاهيم الشذلة
لهذه الالفاظ الاساسية في لغتنا العقلية الحديثة .

وصلة « ازمة الروح » مليء بالشواهد على ما يقول .
فهو يتساءل بحماسة :

« رأيت رجلاً رددي ميوله الشخصية واهواءه الفردية
في سيد ما يعتقد انه الحق ؟ أسمعته يرحل بصحي بمسألة
وراحته بل بحياته لنشر لواء الحرية والعمل ؟ أدهشك شخص
باحتضار جميع نعم الدنيا للعمل في خدمة بلاده ونهضة أمته ؟
(من ٢٢٥ - ٢٢٦) »

وبحسب :

« هذا وذاك وذات هم رجال العقيدة » (من ٢٢٦) .
ثم يقول حوالي آخر الفصل : « ما أكثر ما سمعنا ان

المادة هي اساس الحياة ، وان الحديث عن النفس والروح
ضرب من العبث او نوع من الهراء .

ومطوق سياق الفصل ان رجل « العقيدة » لا يتلاءم
مع من يعتقد « ان المادة هي اساس الحياة » وما اكثر ما
سمعنا رجال يعتقدون ان المادة بمضاهي المادي ، هي اساس
الحياة . ومع ذلك فقد كانوا رجال عقيدة واحكام مثل ابي
وشردوا وشنقوا واحرقوا في سبيل عقيدتهم .

على ان الدكتور من غير رب يستعمل لفظة المادة هنا
بمعناها الاخلاقي والادبي .

وكذلك هو في زعمه ان مدينة الشرق القديمة ادت
رسالة روحية ومدينة العرب الحديثة مادية ، قد استعمل لفظي
الروح والمادة في غير المعنى الفلسفي العلمي المصبوط ، وهذا
مستغرب في كتاب كثير الكلام عن المقدمة والعلة والتمحيص .
وبعد ، ، ، يعني الدكتور قريب حين يقول ان مدينة

الشرق القديمة روحية ، ومدينة العرب الحديثة مادية ؟
ان كان يعني بالمادية الانهاس في المتارف والمبات ، فذلك
من دأب اسباب القصور والذواب لا في العرب اليوم فقط ،
بل في الشرق ايضاً ، قديماً وحديثاً .

وان كان يعني بالمادية الاهتمام باقتاج وسائل الحياة وتنظيمها
لحرارة الارض وتدجين الحيوانات وتشييد المساكن وشق

انصرف واستمر الآلات ، فتلك اشياء نشتت مع المجتمع
الانساني همة في تعرب الحديث كما في شرق المديمت . ومن
مصادر التعرب الحديث انه جعلها لها شوحاً سفيهاً ، والدكتور
يعرف ذلك .

وان كان يعني روحية مثلاً أعلى واحلافاً ملائكة في
تاريخ الشرق القديم كما في تاريخ العرب صفحات سوداء من
قصائد الحروب . تدمير واداقلة الدماء ، وفي تاريخ عرب
الحديث كما في تاريخ الشرق القديم صفحات منسقة من حب
الحير و تعصبة واتباع المثل العليا .

ون كان يعني روحية شرق قديم ان ناس نظراً الى
بأحر لدواصات الطبيعية وصعب فهم بواقيس الكون فيها
عملياً ، كانوا يكفون من تأويل الامور رضى الازواج
الصالحه او عيب لارواح الشريرة ومدحى معارفت وتفسير
الامم والرحم صوفية ، فتلك « روحية » لتستفي عنها ،
ولا نسم على ذهابها ان كانت قد ذهبت . ولا اعلم لماذا
حصر « وصية » بالشرق القديم وهي ظاهرة ترافق الجهل
والنحاط بغير الصعبة وصعب التفكير في كل مكان وزمان ،
وخصوصاً في مرحلة الارمة بعصبة حين يعجز الناس (بعض)
للتفكير مثلاً) عن ربط الازمة « سباب » في ميدان المجتمع
اقتصادياً وسياسياً فيحولونها الى « زمة روح » وينقلون على

« الأرواح البشرية المعينة » يستفوها فلسفة حداد ويصيحون
 بهب : منك الويل والنبور وعظائم الأمور ، من السمات
 وتراث وحدث . وشيء .

والخلاصة ان زعم الدكتور زدي في مدرسة مصر
 الحديث التي ازدهرت في العرب لا تزال في شكلها الطائفي
 مدية ، ان مدرست المصور القديمة التي زهت في الشرق
 ادت رسالة روحية ، كتم فيه عموض كثر ، واذا انصنا
 فيه لم ندر ولا من تحتها ، من لا يقدات
 اكثر تردده .

والان فلننظر مع الدكتور زدي في مدرسة مصر
 الفلسفة في البلاد العربية .

عندنا في الفلسفة لم تقلد (١) بعد (١٨٩٦) وهذا
 صحيح اذا كان قصداً بهذا القول قسراً او بغيره فسمية
 دره واعية في البلاد ، وانتاجاً غزيراً في التأليف العلمي .
 وقد بس الدكتور اما شد حجة الى جامعة . وهذا
 وحسب عيني ان توسع وعمق ثقافتنا الحديثة ، استطاعت
 شرط ان لا يبنى هذه ثقافة مجموعة من دونات حرجية من
 المدارس الفلسفية ، لذهاب المعكينية ، من ان تعدي ذلك
 فتصبح معرفة زحجية تحابه مشاكل الحياة المعاصرة ، وروحا

تدفعنا الى التعق في حقيقة الاشياء والنظر الى علاقاتها
الكبرى ومساكها الرئيسية » (ص ١٨٨ - ١٨٩) « فان جوهر
الفلسفة ان تحق في ماهية الامور وان تنظر الى السائل في
دوائرها الكبرى » (ص ١٨٨) .

مرة اخرى نصادف المعلومات الخارجية « و « المعرفة
الداخلية » . ولكن ما لنا ولها ، فقد عالجنا قصيتها . ورأيه
في ضرورة الفلسفة على وجه عام لا يرد . فليسائله الآن
كيف يدرك هذه الفلسفة التي نشدها .

خلاصة حواره ان ندرس فلاسفة العرب . وهو في موضع
من كتابه مرص لذكر اسماء كبيرة معينة : افلاطون وارسطو
واعلمين واحكويناس وديكارت وهايجل ونيشه
(ص ٥٠) . وللاحظ اننا لا نجد بين هؤلاء الفلاسفة واحداً
يمثل المادية حق التمثيل . فهل هذا من غرائب اتفاق اللاوعي
في « الوعي القومي » ؟ ولكن الاستاذ زريق لا يسي ان
يسمى هؤلاء ايضاً « سوامم من قادة المكر الذين فرضوا
عقولهم على العرب ووجعوا قياواته الفكرية وجهتها الخاصة »
(ص ٥٠) وكأني يستحي ان يذكر مثلاً باكون وديدرو
وفيورباخ ولوك الخ .

ولكن فلنسير الدكتور :

« في الفلسفة تتجمع شتى التيارات الفكرية والمطبعة

وتتجه كلها نحو هدف واحد في نفس واحد . وقد ظهرت في تاريخ العرب عقول حاضرة جمعت هذه التيارات ودفعتها موحدة في بحر عزيرة قاصت على الحياة الغربية فكيفتها ولونتها بانوان حاسة . وليس من شك في ان هذه العقول تختلف فيما بينها وان الانوار فلسفتها يتباين بعضها عن بعض . وليس من شك ان المحاري التي تدفقت منها تباعدت وتنافرت احياناً كثيرة ، ولكن ورائها كلها انفاة جوهرية ووحدة روحية ومنبعاً اصلياً يمددها جميعاً . وهذا ما يحصل عامة الغربيين ينظرون الى العالم نظرات متناهية ويقدررون قيم الحياة بمقادير متقاربة يختلفون بها عما سواهم من الشعوب التي لا تدبش في جوعهم ولا تصدر عن قلوبهم » (ص ٥٥) .

وفي هذه المقطعة الطويلة سلكان من التفكير : الاول : ان فلسفة العرب يحنث بعضها عن بعض ، وفلاسفته يختلفون فيما بينهم . وثاني : ان فلسفة العرب يتفق بعضها مع بعض ، وفلاسفته يتفقون فيما بينهم . وكثير من كلام الدكتور مضطرب في سبفه كالفصاة تهرها الريح من يمين الى يسار ومن يسار الى يمين . وكان الاستاذ حائف من مفاجأتنا بما يريد قراره في ذهننا ، فهو يتوحي « لباقة عليية » . على انه ينتهي وقد ترك لنا ان في فلسفة الغرب وبين وفلاسفته انماها جوهرية ووحدة روحية ومنبعاً اصلياً يمددها

جميعاً ، وهذا ما يحمل عدة العربيين ينظرون الى معلم بصرات
متشابهة ويقدررون قيم الحياة بمقدر متفردة .

نحس سائل الدكتور : ما هو هذا الاتفاق الجوهرى ؟
وأين هي هذه الوحدة الروحية ؟ وما المنع الاصلي الذي يمتد بها
جميعاً ؟

ان كائن حي يسبح ارضياً او سائراً في تربة
الحيوانات الانسانية وعقب منها ، فترى مدلوله على ان
الاصناف الاجتماعية كانت انصببت في ذلك ليس ويختلف
بعض مواضعها . معاً لرب الناس في هذه الاوضاع .
وكان يرى لاجل لاجل الحياة المتدولة . بعد انفسا فلسفات
متشابهة ، وليس ان على ذلك من شدة مدارس التفكير
والمنهج في العلم .

ثم سأل الدكتور : كيف ينظر العربيون الى العالم
نظرات متشابهة ويقدررون قيم الحياة بمقدر متفردة ؟
أبصر ذلك هذا متعاضن اليد في ميادين الر واحواز انحاء
وعصب محار وشوارع المدن وصفحة الحرائد والكتبت
وصرحب المصاح ؟

وهذا هو الدكتور ذ يحمسا على دراسة فلسفة العرب
وفلاسفة يحدره من ن منع في الحظ من ثمين متباينين ،
فيقول : ان العلوم الفلطفية شيء والفلسفة كمنطرة عقلية

وهيئة معينة شيء آخر، وإن فهم لفظة العربية التي نعنده
هو تلك المعرفة التي نختلق بها ادهاننا إلى قلب التفكير
الفلسفي وتلتب بالروح الفلسفية المثبتة منه (ص ٥٠ - ٥١).
وما من شك أن المعلومات السابقة المتفككة شيء والفلسفة
التياسة شيء آخر. ولكن ما هي الفلسفة التي نتحدث عن
سائر الفلسفات بأنها نظرية معينة وهيئة معينة ؟ أم « الهيئة
العينية » هذه هي تحت « الهيئة الروحية » التي حدد بها
الدكتور المعرفة في مكان آخر من كتابه (ص ٢٤٧)
وفيها يعرف « وأما معرفة العملية » فكل فلسفة لا تخلو
أن تكون نظرية عينية !

ثم إن الدكتور ليحسب حساً حين يرمي بهذه الفلسفة
العربية تلك المعرفة التي نختلق بها ادهاننا إلى قلب التفكير
الفلسفي، وهكذا يكون فهم الفلسفة بالاختراق إلى قلب
لتفكير الفلسفي ! وكيف يكون الاختراق إلى قلب التفكير
الفلسفي ؟ بفهم الفلسفة !

وهنا قلعة قاي لا إلى وراءه . المعلوم من تحت الدكتور
ذريع إذا على لاحقاً . الفلسفة وتقدير أهميتها . ان تحمل لنا
فلسفة تصدر عنها . وهو يريدنا كلفلسفة العرب ، وراها
« اتصال جوهرية » (غير معلوم) و « وحدة روحية »
(غير معلومة ايضاً) و « منع أصلي » (كذلك غير معلوم)

ثم يقول للواحد منا :

« وإذا كانت الفلسفة نصيبك اخترت لتعش فريقتاً من كبار المفكرين — أو واحداً منهم — فمشت وإياه ليل نهار تستمد من مؤلفاته آراء وعقائده ونشئ مكنونات نفسك وعمارة فكرك وتربط حياتك بحياته وروحك بروحه في الجهاد الأقدس الذي تمرسه الفلسفة على صاحبها : ألا وهو طلب الحق واستكشاف سر الوجود » (ص ١٩٠) .

على أنا متى اخترنا لنفسنا هذا الفريق من كبار المفكرين أو واحداً منهم ، وه ربطنا حياتنا بحياته وروحنا بروحه ، فأي فلسفة وراءها اتفاق جوهري ، الحج ... تبقى لنا مع ما نعرفه من احلال الملائكة واختلافنا في الاختيار ؟ أم يعني الدكتور أن مبحرنا لنا فريق من الملائكة أو فيلسوف ويقرض علينا فرضاً ؟

والخلاصة أن الدكتور عدا ازلافه في المبالغة لا يند إلا إلى حدس نفسه حين ينسب إلى فلسفة العرب وفلاسفتها ما يسميه اتفاقاً جوهرياً ، ووحدة روحية ، ومبدأً أصلياً . والحق أن الاختلاف في العلاقات إنما هو ثمرة إصراع اجتماعية متفاوتة في صميم الأمة نمت فيها هذه المذاهب . ثم ساء كما سبق لنا أن أشرنا . كل الواقع أن الإصراع الاجتماعي وإن انسلخت من التفرد والتزاع ، فمقتل المبدأ في

الاذهان وتأثيراتها في المواضع متماثلة . وذلك خير ، اي
 خير ! لان افكار الناس وعواطفهم لو صبت قوالب واحدة
 لاصبح السكون لا يطلق ، ولا يصبحنا بقطيع البقر اشبه !
 والدكتور ، سد ذلك كله ، يدكر ضرورة فلسفة للبلاد
 العربية ، ثم لا يكاد يقول شيئاً محدوداً عن ماهية هذه
 الفلسفة !

فيحق لنا ان نقول ، والحالة هذه ، ان « الوعي القومي »
 ليس فيه من الفلسفة الا كثرة زبد هذا الاسم مقروناً
 بمفاهيم مرسلّة ارسالا ومبهمات صوفية .

معنى الوعي القومي والرسالة القومية

كم بصر الله كنود ذريق على : حوب فلسفة بللاد العربية
كفسيمة ، القرب بكون وراها : انهق جوهرى ، اح .
واشد من ذلك اصراره على رسالة قومية خاصة . ولكن قد
ان نفرد ما هي تلك رسالة في نظره ، لا بد لنا من
بحث رأيه في معنى الوعي القومي .
فلنقرأ :

« يقوم الوعي القومي على معرفة معنى الامة ، وفهم
لموالم العنصرية والدينية التي ككوتها وجعلتها في جانب
الحاصرة والكشف عن مصادر قواها الروحية الخاصة التي
تمتاز بها عن غيرها من الامم » (ص ٣٧) .
هذه مقدمة عامة ، لنقرأ تطبيقها على العربي الواعي قومياً :
« فالعربي الواعي قومياً يصح يده على اصل الجنس
لعربي ... يسايره في سيرته على الاجناس الاخرى ومتزاحه
بها وفي ما تكون من هذا الامتاج من امة مختلطة الدم
والجنس ، موحده في الارتباط القومي ... انفسه والتقاليد
والجهاد الماضي والنصيح الحاضرة والتملة . وهو يعرف ما

يقوله السمعاء الحديشون عن معنى « الجنس » وعن مقدار ما
للوراثة من جهة والمحيط من جهة أخرى من أثر في تكوينه
وعن نوع علاقته بالقومية، وعن الحركات السياسية والمذاهب
الاجتماعية والفكرية التي أدركتها مشاكل « الجنس » في الشرق
والغرب .

« وينظر بعد الجنس في سمة مفردة من ابن نبات وكيك
انفشرت وبهم مبراتها على غيرها من المصنفات والقوى الخاصة
التي جعلتها لسود . . . هكذا لمة نوع خاص . . . واللغة
العربية قد أظهرت حيوية سمة في دفعة انتعاشها وفي سمة
انتشارها . . . »

« والوعي القومي ينصب ان يكون له فهم صحيح لجوهر
اشعافه العربية . . . وما وراءها « من قوى روحية خاصة »
و « ينصب الوعي القومي المنفتح الى الماضي ان يلمس روح
تاريخنا ويتصل بالاموال التي كوّنت هذا التاريخ . . . » و « بهما
بصورة خاصة ان يدرك القوى الداخلية المتعاضدة في نفس
العرب وقوتهم وارواحهم لان الظروف والاحوال الخارجية
على اهميتها . . . ليست شيئاً ازاء القوى الداخلية » (ص
٣٧ - ٣٩) .

وهكذا فالعربي الواعي قومياً يدعي به ان « يصنع يده
على اصل الجنس العربي » . ايضاً الدكتور جداما آدم مثلاً ،

أم سام ؟ ويبغي لمعرفة الواعي قومياً أن يعرف ما يقوله
 العلماء الحديثون عن معنى الجنس ؟ أي الأمة ؟ وعهدت
 بالذكور ذريق لا يجهل أن مسألة الجنس هذه قد حلتها
 بعض من يسمون انفسهم علماء وفلاسفة لا نتحمل من
 تفسير التاريخ وفهم أحوال الاجتماع وما معنى قوله الحركات
 السياسية والمذاهب الاجتماعية والفكرية لفي أمور مشاكل
 الجنس ، في الشرق والغرب ؟ يريد الدكتور أن يفهم
 بقوله أن مشاكل الجنس هي التي أثارت الحركات السياسية
 كالديمقراطية والاشتراكية مثلاً ، والمذاهب الاجتماعية
 والفكرية كالاشتراكية والفلسفة لراغمانية مثلاً ، أن كان هذا
 قصده ، فهل ذلك هو المراد ، و التفسير الواضح النبر ،
 و التخصيص الذي حدثنا عنه ؟

ومع ذلك ، فلهوم من كلام الدكتور ذريق أن المراد
 الواعي قومياً بمعنى أنه أن يكون عام احساس بشرية تقريباً ،
 ويستطيع تقدير أثر الوراثة والمحيط .

ثم ينبغي له أن يكون عالماً ، وبصير شيء ، فإن له
 « نوع الأمة الخاص » ، ويسمى له أن يكون « ثقافة »

« نوع الأمة الخاص » ، ويسمى له أن يكون « ثقافة »
 « نوع الأمة الخاص » ، ويسمى له أن يكون « ثقافة »
 « نوع الأمة الخاص » ، ويسمى له أن يكون « ثقافة »
 « نوع الأمة الخاص » ، ويسمى له أن يكون « ثقافة »

يفهم فيها صحيحاً شيئاً يقال له « جوهر الثقافة العربية » وشيئاً
يسمى « القوى الروحية الخاصة » وراءه . وينبغي له أن يكون
عالم تاريخ أيضاً يلمس شيئاً يدعى « روح تاريخنا » . وينبغي
له أن يفوس الى « القوى الداخلية » الفاعلة في نفوس العرب ،
ولا يكتفي بالظروف والاحوال الخارجية فهذه « ليست شيئاً »
مازاه تلك .

ونحن اذا ضربنا صمخاً عن هذه الفواصص التي بشرط
الذكور ذريق على العربي الواسي قومياً ان يعرفها رغم انها
مواضع اخذ ورد لا بنهيان — اجل اذا ضربنا صمخاً
عن هذه الفواصص ، واقتصرنا على ما يكلفه معرفته من اشياء

كالموت — عن عبور قوى الاتحاد بينهم و . مراقبها من ملحق قصده
وما ملحق ذلك من وضع اجتماعه وبنايه ، وما يصادق وعالم
من اشياء . وسيرة النخبة العربية فيها مصداق ذلك ، فهي في دور البداوة
مصدوقة ، تصنع المجتمع البدوي ومبادئ الحياة فيه ، وعاداته ودهنيته .
اجر العرب في العمران ، في الدور المباني ، التمت بهم ، حرسه بالتحصن
أدى الى حربه ، واما في مصداق ادراك الثقافة ، في دور البداوة ، ثم
لما تأخر العرب اخذت تضيق لتشا حتى وحدها على ما هي عليه من انقصور
في دور وعينا الاول هذا — قصور عن الاحاطة بمبتدعات العلم احدث و .
اثره حيرة اعلمية جديدة في ادب التقدم ، وحذر ، ، تذكر رد عدم
التمسك العربية بالورود العربي ، حربه في حدها ، « في دور البداوة »
او قصور خاص .

اخرى لوجدنا ان هذا العربي الواعي قومياً يسمى ٤ ان
يقضي ما شاء الله من عمره في الجماعات والمكاتب ، ولا يصح
واحياً قومياً الا قبيل النفوة الاخيرة .

والدكتور زريق حريص على ان نفيس وعيننا القومي
بومى الفريين فيقول :

« الفرنسي الواعي قومياً يعرف بوضوح ودقة مرابا لفته
وبوضوحها الخاص ومقوماتها بين غيرها من البقات . ومثله الالمانى
الذي يشتر اامت حصائص ثقافته والايادي التي هي على غيرها
من الثقافات ، والانكليزي الذي يعرف ان تاريخ امته فيشير
بهم وادراك الى الدور العظيم الذي مثله والى الروح التي
تجلت فيها في مختلف الادوار » (٤٠ - ٤١) .

ومن هذا القياس ينتج شعطه في تقدير العربي الواعي
قومياً . فكلامه عن الفرنسي والالمانى والانكليزي لا يصح
الا على اساندة منحصنين ولعله على هؤلاء يعني حكمه . وكثيراً
ما تكون هذه « الحصائص » و « الايادي » وهذا « الدور
العظيم » دماوى مبالغاً فيها .

عبر اننا نستطيع اضافة هذكتور ان يقول : انه انما
يرمي الى جعل البحث والدرس (بصورة عامة) اساساً للوعي
القومي حتى ليحاول ايضاً ان يمس ببعض مقترحات معينة .
« ان نحن من البحث الحصيل في مواردنا الطبيعية

ومرافقنا الاقتصادية وطريق بشرها واستغلالها الى ما يكفل لنا
عيشاً مكمياً و كياناً منيعاً (ص ٢٦) .

اجل يحاول ان يدعو الى بعض اشياء و عملية :
البحث الخصب في مواردنا الطبيعية ومرافقنا الاقتصادية
وطريق بشر واستغلالها . وكان الدكتور يحن ان بليتنا هي
اقتصادنا عن « البحث الخصب » في هذه القضايا وبمع
« العرب » نص اعيد . فانقر ليس ما يحيط بنا من
سيارات سريعة الجري وملازم نهرة النور وادوات حديثة
الصنع الخ . . . فورا هذا جميعا نعم اقتصادي منشآت
حلقه الثورة الصناعية الحديثة يرمي الى استغلال موارد الطبيعة
وموهب الانسان وفنية الآلة الحديثة في سبيل ردة الانتاج
ونظمه . فكما زاد انتاج الامة وانتفع توافر عناها وقامت
زروتها وتكثرت من ان تعرض عنها عن الامم الاخرى . . .
ومها قد سس في احصاء هذا المصير (النظم الاقتصادي
العربي) وما كثر ضعفه ، ومها تدمروا من تضارب عناصره
وتطاحن اجزائه وثم يخره على امله من موضى واوتماك ،
فليس من ش في انه سيهفي في جوهره - اي في ما يرمي
اليه من استغلال موارد الطبيعة واستحرام الالة الى اقصى
حد ممكن - النظام السائد في المستقبل . . . ولا سبيل
للرجوع الى الصمة الاقتصادية لسيعة فطرية .

ونحن اذا ادركنا النظام الاقتصادي الحديث عن حقيقته
وميراثه حثاته من سيئاته امكنا ان ندخله في حيزنا على
نور هذا الادراك والتعير واستفدنا من احتيار العرب الواسع
وتحسينات ما اصاب القرب منه من مزار وآلام وقطعنا في
سنوات ما توصل اليه القرب في اجيال (٤٦-٤٧) *

والدكتور مصيب حداد حين يوصد الباب في وجه الذين
يريدون الرجوع الى أنظمة اقتصادية بسيطة فطرية . فارادتهم
هذه صحت . لان الأنظمة الاقتصادية البسيطة مطروسة ،
تمتأ من مستوى اتقاء متأخر . وليس مع الانساح المصحح
القائم اليوم في العالم أنظمة اقتصادية بسيطة فطرية .

ويكن الدكتور في كلامه لا يفرق عن ما يقدر به
شبين : النظام الاقتصادي من ناحية ، والوسائل (الآلات
الصناعية خاصة) التي يجري بها الانتاج من ناحية اخرى .
وقوله عن النظام الاقتصادي العربي انه يرمى الى استغلال
موارد الطبيعة ومواهب الانسان وقابلية الآلة الحديثة في سبيل
زيادة الانتاج وتنظيمه ، غير صحيح اليوم المنه . فهذا النظام
مبذر في موارد الطبيعة ومواهب الانسان وهسية لالة الحديثة
والالة الحديثة نفسها ، والدكتور في كلامه شمر بمرئيه انه
بهي ذلك . وقوله ان استغلال موارد الطبيعة واستخدام
الالة الى اقصى حد ممكن ، (ولا اعلم لمساذا نرى استغلال

مواهب الانسان ايضاً) هو ما سيقى في المستقبل ، صحيح ،
على ان هذا ليس « جوهر » النظام الاقتصادي العربي بل
جوهر التقدم الانساني .

الا ان الغريب من الدكتور زريق ان يقول اننا اذا
« ادركنا النظام الاقتصادي الحديث على حقيقته ومبرراته
من سيئاته امكثنا ان ندخله في حياتنا على نور هذا الادراك
والتمييز الخ » .

واذن ، فكل مشكلتنا الاقتصادية ننحصر في « البحث الحميم
في مواردها الطبيعية ومرافقها الاقتصادية الخ » ، في ادراك
النظام الاقتصادي الغربي وادخاله في حياتنا بعد عصر . وتصميمه .
حقاً انه لتسبب ساذج المشكلة . وليأخذ الدكتور مثلاً
كتاب النعمان الاقتصادي في سوريا للاستاد سميد حمده (السنة
١٩٣٦ ، بيروت) وليقرأ مفالي الاستاذين جورج حكيم ،
والر خوري فيه ٢ ، ولينعم النظر في بعض اوقائع
والاحصاءات فيلهم الجهود في بدلها الانتاج الوطني والحقبات
التي تحول بينه وبين الازدهار ، وهي طبعاً عقبات مهيبة عبرة
« البحث الحميم » ، وعدم « ادراك النعمان الاقتصادي الغربي »
و « ضعف التنظيم » . هل الدكتور جاد حين يرغم وان

١ - دكتور زريق

٢ - دكتور خوري

لزمنا الاقتصادية ناشئة عن امالك هذه اموارد ، (موارد
 الثروة في بلادنا) ، (ص ٢١٨ و ٢٢٢) ؟ وهل هو جاد
 حقاً حين يزعم ان د بوسنا ان نهم برراعتنا وهي بصاغتنا
 ونحافظ على تجارتنا فتقوى صناعتنا والا حية حتى نصلد تحاه
 الموام الاقتصادية الجبارة التي تهاجتنا من الغرب (ص ٢١٨) ؟
 فهو حقاً لا يدري ان زراعتنا تشكو عدل القبا الاقتصادية
 الكبيرة ، وان فلاحنا ليس مكثوف البدين ينتظر من يقول
 له د بوسنا ان نهم برراعتنا ، د بوسنا ان نستعمل السماد
 كميوني ، وهل ؟ انه ينتظر السماد الكيماوي نفسه ، واشياء
 اخرى مادية غير النصائح !

لقد كان اخرى بالدكتور ان يضع يده على العقبات المعينة
 التي تؤخر بها صناعتنا ودرراعتنا ، من ان يطلب د وضع
 اليد على اصل الجنس العربي ، مثلاً ، كان جديراً به ان
 يفساه : كيف تمس صناعة وطنية ناشئة لا تستطيع اعتماداً
 على الاسواق العالمية ، اما السوق الداخلية فلها من يزاحها
 ويصيق عليها الانقاس فيها ، عدا ان طاقة الجماهير على
 الاستهلاك يشلها الفقر ، بل كان جديراً بالدكتور مثلاً ان
 يذكر اعتماد المصرية التي اقمها محمد علي بلشا ويستنتج شيئاً
 من مصره .

ويضي الدكتور عقب تساؤله عن بحثنا الحبيب في

مواردنا الطبيعية ومراقبتنا الاقتصادية ، فيقول :

« إن نحن من التفكير الاجتماعي الرصين الذي يملح
أزمتنا الأخلاقية ونسقي مستواها الروحي في الأسرة والمدرسة
والدولة ، بل في جميع منظمات مجتمعنا ؟ بل إن نحن من
الثقافة الأدبية الصائبة التي نترك مقسم لأدب صحيح في
نهمة الأمم ، - الأدب المستمد من الحياة المكتمل بحياة -
ونتوجه إليه وترفع صاحبها إلى محاهدة نفسه لا تحده وتفتح
إبناء أمته به ؟ وبكلمة وجيزة ، إن نحن من التفكير العظيم
في أي من الأسس الحقيقية التي تشد عصبها ، - حسب لقومية
الثالثة ؟ » (ص ٢٦) .

أزمتنا الأخلاقية وتندني مستواها الروحي في الأسرة
والمدرسة والدولة ، والثقافة الأدبية الصائبة في ... -
صاحبها من أجل إنتاج الأدب الصحيح في محاهدة نفسه .
كذلك محاهدة نفسه : مصيبة محاهدة نفس والزمرة الأخلاقية
وتندني مستوى روحي وهم . ورحم الله شوقي :

وأنما الأمم الأخلاق ما بقيت فإن هم ذهبت أخلاقهم ذهبوا
ولست أريد إرداء الأخلاق المتينة ولكني لا أرى طائلا في
عرض القصيدة القومية على اعتبار أنها قضية أخلاق . فهذا
عرض سطحي ، ويمكننا أن نقى إلى ما شاء الله برد مصيبتنا
إلى فقر الأخلاق وتندني المستوى الروحي وقلة محاهدة النفس

ولا يقوم بالكثير من وعظ يذهب هباء . والنصيحة سهلة
ولشكل قبولها كما يفيد قول حكيم من اقوال الفزالي . ثم
اي ، صراحة ، لا اوانا متميزين امتيازاً خاصاً بالافات
الاخلاقية ا

الا ان الدكتور ذريق مصر على وجوب اخذ مفكرينا
بهذا النوع من البحث والتفكير مع درس نهضات الامم
الاحرى وما رسمت لنفسها من طيات وما نهجت من سبل ،
ولننظر في مرايا الامة العربية وسجاياها الخاصة ، (ص ٢٦
- ٢٧) .

هذه الامم الاخرى ! اي الامم ؟ واي النهضات ؟
ولو قال : نحدد الامم الاخرى لكان اطلق ، على ان كلامه
يعني ظاهراً ان الامم وان اختلفت في انها تطلب تحرراً
مثلاً ، فصرورها تختلف وجهادها يختلف . وعلى كل ، فقد
كان من الضروري جداً ان يذكر امة من هذه الامم
الاخرى لتعلم ما ينبغي .

وكم يزعم الفاري تليف الدكتور المسائل بهذه النواحي :
« مرايا » و « سجايا خاصة » . ولو قال ظروف الامة العربية
داخلياً واوضاع العالم حولها وعلاقتها بهذه الاوضاع لسكنا
انقدر على ان نحوى كلامه ، خصوصاً والدكتور لا يقول
كلمة من هذه « المرايا » و « السجايا الخاصة » . بل ا

« ليس من المعقول ان امة كهذه (لمربية) لا تكون لها
 منزلة معينة تنفرد بها » (ص ٥٤) وكفى اسه المؤمنين القتال !
 وما اسرع الدكتور الى الحديث عما يستطيع الوعي القومي
 منه من عجائب ، وهو لم يقل لنا الا اشياء اكثرها غوامض
 في ماهية هذا الوعي نفسه . يقول :

« وحدة القوم ان الوعي القومي يرن الامور موازينها
 الصحيحة » (ص ٤٤) موازن الامور الصحيحة ؟ ما هي ؟
 فوامض اخرى .

« ان الوعي القومي لا يكتمل الا اذا تقدم من فهم
 ماضي الامة وادراك حصرها الى تقدير مستقبلها ونصير
 مصيرها » (ص ٥١) .

اما فهم ماضي الامة فقد علمنا اذا لا نحصل عليه ما لم تكن
 متخصصين في معرفة الجلس والامة والتاريخ وهلم . واما حاضر
 الامة فهو متكون من تفاعل « روح الحصار المربية المتدفقة
 علينا » و « ادراك شخصية الامة الداخلية » (ص ٥١) . عوامض
 ايضاً . واما تقدير مستقبل الامة ونصير مصيرها فيرتبط بشيء
 يقال له رسالتها .

« ان لكل امة من الامة رسالتها الخاصة تؤدبها الى المجتمع
 الانساني » (ص ٧٧) ، « ان العاية القصوى لاية امة من
 الامة انما هي رسالتها التي تؤدبها هذه الامة للثقافة الانسانية

والتمدن العام . . . وما الاستقلال والوحدة في واقع الحال

سوى وسائل لتلويغ هذه الغاية الاخيرة » (ص ٥٢) .

اما جعل الاستقلال والوحدة وسائل منذ الآن وهما لم
يحصلا فأمر سابق لأوانه قليلا ! وقد كان احري بنا ان
ننظر في حصول الاستقلال والوحدة . ولكن نعلم ان الدكتور
زريق لا يرى شيئا مقبولا على « امة » واحدة . « هي هي »

صبراً ايها القارئ :

« وحقيق بالامة العربية ان يكون لها رسالة رفيعة بين

الامم . وحقيق بكل عربي ان يشعر ان محيط امته الطبيعي

تاريخها الخاص قد « اولاها امة » لم تتوافر شرورها لاية امة

اخرى . وان القوة المندرة وراء هذا العنصر قد اعدت

العرب لامر لا يستطيع اي شعب آخر ان يقوم به دونه .

ذلك هو الشعور الذي يتحدث الالماني عندما يتحدث عن امته

وعن مستقبلها . فجميع عناصر حياتها . . . تنصب في صورة

واحدة هي الرسالة التي حملها القدر للامة الالمانية ، ولها

وحدتها ، امتياز تأديتها ، بل واجب هذه التأدية . ومثل

هذه العقيدة « عملاً » نفس الامكليزي الح . . . » (ص ٥٢ -

٥٣) .

كذا حقيق بكل عربي ان يشعر . . . ان القوة المندرة

وراء هذا الكون قد اعدت لامر . . . كما يشعر الالماني ان

القدور قد حفظ للامة الالمانية رسالة... كما يشعر الاكبري
ان الله مثلاً قد ازم عنقه خدمة الانسانية !

حقاً ان ادخال « القوة المدبرة » و « المبرر » و « الله » هذه
المدخلات لا امر متكرر مستحدث ، (بل قد سمع من نعرف
كيف استعمل) ولكن عموماً : قد لا يكون ادخال « القوة
المدبرة » المح « هذه المدخلات مقصوداً قصد جده ، فلا كتور
لا يطلب مما غير « شعور » بحيث هو « حسن » بل !

وقد كنا ظننا حين دخل في الحديث عن ارسالة الخاصة
انه انما علم انى روى دارج من ارباب الشعور المستعذبة ، فبعد
اصبحت كلمة رسالة اسهل شئ ، محرر من ... هذا يشعر
له رسالة ، وهذا المصور له رسالة ، وللمعبر لدراسة رسالة ،
والامة رسالة ... وحدنا الا كنور انما روى رسالة الامة
طلب حشره اذا كانت منقودة ودفع العوائق عنها ومعها الى
انها من مستوى جميع شعورها اقتصادياً وثقافياً وحضرياً على ان
تسلك من المجموعة الانسانية سلوكاً لا يتهم غيرها ، ويزيد
حسب مواهب الامة وامكاناتها في راحة العالم الامة .

ولكن الدكتور تفسر فيه عروق اخرى على ما يظهر
من الامثال التي ضربها لنا ومن قوله : « ليست مصيقتنا
حب السيطرة وفرض السلطان بل حور العزم وصدق الايمان »
(من ٥٣) « ونحن اذا فكرنا وشعرنا برسالة قومية كبرى

(٥١) طلبة حب السيطرة وفرض السلطان) اكتسب جهادنا
 في سبب الحرية والاستقلال معنى جديداً (من حب السيطرة
 وفرض السلطان صعباً) . . . واستمددنا من هذه العناية
 القموى (٥٢) طلبة وحب السيطرة . . . قوة مضاعفة
 وعمدة موحدة . . . موع الوحدة ونحسب الاستقلال (٥٣)

وعدنا . . . وضع العربية امام الجواد كما يقول المثل
 الاخرى ، من عد هو د حب الاثار ، يفهم به من كد
 وعرق في . . . كما يقول اليرزحي .
 ولكن . . . نور لا يفتل صدى حول هذا الموضوع ،
 وبقلب في . . . التي يفسر عنها . . .
 . . . ليس من اعمول اما امة كراهية (. . .) لا تكون
 لها مزيج معينة ، متفرقة ، . . . خاصة . . . بها لتتحد البشرية .
 اما اذا اردت ان تكون هذه الامة . . . ومعرفة مبادئها
 الحقيقية . . . وجب علينا ان نكون مدبرين عميقة وتسهلات
 بعيدة . . . شريط الطيفي والاصول الجسدية (؟) وانتعور
 الاجتماعي . . . والتفكير ، وتعمق دون هذه المهر الى روح
 الامة وشخصيتها . . . ومن النقص الذي ان هددت ومكرينا لم
 يعكروا من هذه المهمة الخطيرة في حياتنا القومية ولم يرسوا
 لنا رسالتنا الخاصة بصورة لا يتوبها غموض او ابهام .

(ص ٥٤) .

قدرة كبرت فيكون الله كتور ان يتلافى هذا الغرض الشان .
 و لعب لا يمدو الحق اذا قد ان عمل الامة عربية
 سيكون في المستقبل كما كان في الماضي : فكما ان العرب
 استطاعوا في العصور الماضية ان يهضموا مدينتي ايوان
 واردمس و لمرس و اميد ، و يمتصوها بقوهم الشيعة و موسوم
 لطائي ثم يخرحوها الى لسان واحدة مسحة غنية الادة
 باهرة اللون ، كذلك ستكون مهمة العرب في الاعصر الآتية
 ان يندرجها عم العرب و يجمعوا به امصار المختلفة التي تنشأ
 في العرب و الشرق كد قبل له ، و يؤلفوا بينها كتاب في
 وحدة جديدة يكون عنوان الحياة انفس و يفيض بها العرب
 على العالم كما طاصوا عليه مدينتهم باهرة في قرون اضية .
 (ص ٥٥) .

كذا ان عمل الامة العربية سيكون في المستقبل كما
 كان في الماضي ، (ص ٥٤) . و جميع هذه الامور
 ذريق ما هتس في قصوره عن اس احلاف احوال العالم اليوم
 و احوال القرون المتوسطة في نفس العرب في حالها ، فقد
 كان عرب معدنيا في هذه انحصاط ، و لا يمكن العرب
 (في الاعصر الآتية) ان يبنوا الممر الذي يملوه اذ ذلك الا
 اذا انحط العرب (في الاعصر الآتية) الى شبه قرون متوسطة

جديدة : وكانني الدكتور قد حر في انشاء رسالة خاصة
لعرب ، فسمي ير ايسر عليه بعد « دروس عميقة وتأملات
بعيدة » من ان يتصور وفعة تقمها سيارة التساويح العربي او
الرفافة ترغها فتدهور الى « قرون وساطي » ثانية . ام
العرب فيشربون عجم العرب الحج . كما همصوا قديماً مديان
اليونان الحج . ومبصون بها على الغرب . . . ثم ينفض الغرب
من جديد وتتأخر نحن ، وهكذا ده لث : مرة في مرة
منك ا

وكان الدكتور يرجع سريعاً الى نفسه ، ويرى تفاصيل
الرسالة التي حاول ان يشرح شذناً منها تقصعد بخاراً اعلاه ،
فيقول :

« سواء كانت هذه رسالتنا الحقيقية ام لا ، فحسننا ان
نعتقد ان لنا رسالة ما ، وان يؤمن اهل اعدت لنا واننا
اعدنا لها » (ص ٥٥) .

ثم : « حسب قدة الفكر بيننا ان ينصرفوا لايضاح هذه
الرسالة وتبين هذه القاية » (ص ٥٥) .

اية رسالة واية عاية ، يا دكتور ، وكل ما ثبتنا عليه احيراً
في كلامك هو : رسالة ان لنا رسالة ، وعاية ان لنا عاية !

وبعد الا يعرض الدكتور ان « قدة الفكر » (٢)
اذا انصرفوا لايضاح هذه الرسالة فيصدمون عليه فوراً بمائة

واكن أليس الامة العربية رسالة ما ؟ مي ، عني ان
 كلمة رسالة تحمل معها فكرة شيء من الكماليات . واولى
 ان يقال ان الامة العربية حاجة . فما هي ؟ اصمت ايها
 القاري تستطيع معي ومع الدكتور صبراً .

الامة ، قضية القوميات ، العرب اليوم

« لا بد لنا في كتاب عن « الواعي القومي » و « رسالتنا الخاصة » و « لامة العربية » ان اعرف ولو معرفة عميقة ما هي الامة في نظر المؤلف .
سنة اخرى نرجع الى تلك المقطعة لعمومية عن « العربي الواعي قوميًا » ، ونبشر : »

« « العربي الواعي قومياً يضع يده على اصل الجنس عربى . . . سيره في سيادته على الاجناس الاخرى وامتزاجه بها وفي ما تكون من هذا الامتزاج من امة ، تحتضن الدم ، الجنس ، موحدة في الارض القومية . . . اللغة والتقاليد ، الحدود لصي والمصالح حاضرة والمقدرة » (ص ٣٧) .

« نقرأ في الصفحة (٣٩ - ٤٠) :

« ان الامة عربية لها شخصية خاصة تتفرد بها عما سواها من الامم . شخصية مؤلفة من عناصر مختلفة اهمها : امة وثقافة و تاريخ المشترك ، قد نجدت جميعها من اصول الماضي . »

ثم نقرأ :

« ليس مكاني في هذا المحل عبقري ، احيط هذه
الاسس التي تنمي عندها القومية ، اذ ان كلا منهما يحتاج الى
مقال خاص يشتمل على وتجيلا » (ص ١٠٧ - ١٠٩) .

والحق ان الدكتور ذريق مستعجل جداً في كتابته .
وكم يقدر مرة بصبر المجال وقلة الوقت حين يواجه مسائل
اساسية كان يحظر منه ان يقول فيها كلمته من روية ودرس .
وهذا نلاحظ في كتاب لمحة اسباز بكلمة الامم والشعوب
اطروحة . (بدمير هؤلاء ، الفلامية ، اسماء هذه الفكر في
الملاذ العربية ، مثلاً) (ص ٨) .

والدكتور يوافقني طبعاً على ان ندرج الامة . مسائلها
الاساسية . ووافقني ايضاً على انه لم يفكر في هذا التعريف
« تفكيراً واضحاً نيراً » . فسي عصرنا رديت من عناصر
القومية ، ان الله عنصرها : الارض السركه . بعد بوح
هذا بديهياً ولكن فلنفكر :

« لا نكران ... انه كان للتربية السبئية اثر في جعل
العنصر اليهودي ، وحدث القومية اليهودية بعد ان ... ان اليهود
في انحاء المعمور » (ص ٩٢) .

ونحن هنا لا نناقشه في قيمة « الارز اسين » التي كان
« للتربية البيئية » في حفظ العنصر اليهودي ازاء عوامل
اخرى اشد اهمية كيمت التربية البيئية نفسها . ولكننا لسائله

عن هذه سميت بقومية يهودية ؟ صحيح ان هناك قومية
يهودية ، مثلاً لها ؟ لست اقول ما اقول مدفوعاً بتعصب زدي على
الشعب اليهودي . الا اني اقر واقعاً هو ان اليهود ليس لهم
قومية حتى تبث اولاً ، لانهم لا يمسكون ارضاً مشتركة ،
وان كان هناك حركة معروفة لتفريد من حركات نسوق
ها لليهود فتحاول حثهم في ارض مشتركة معينة باسم قومية
يهودية . ولأرب اخرى .

ثم من الذي كتور عن ان يذكر لنا العنصر الاقتصادي
في تكون القومية رغم انه يقول :

« قومية يهودية » ، اما هي وليدة العصر الحديث
وما يخص به من قوى سياسية واقتصادية واجتماعية (من
١٣٠)

وقوله صحيح ، على انه لا يخص منه اي نتيجة منطقية .
حقاً ان القومية الحديثة ، تظهر هذا الظهور وتبني هذا
تعبيراً الا ان من قوى الاقتصادية منذ الثورة الصناعية : الا
بتقدم وسائل الانتاج وصالح الاساج نفسه ، ويتوزع العمل في
الانتاج اوصى بين مناطق البلاد كل منطقة حسب مؤهلاتها
وربط كل واحد من فروع الانتاج الوطني بغيره اوثق وابط ، مع
ما رافق ذلك ضرورة من جديد طرق النقل والمواصلات اتي
فربط الابعاد بين مختلف المناطق . وذلك كله اعان على

تفجير وحدة الثقافة والعادات وخلق الشعور الشامل
بـ « الوطن » و « الأمة » .

ولكن قبل الثورة الصناعية ، في عهد الاقطاع ، كانت
مناطق البلاد الواحدة بعضها معزول عن بعض . بل كانت
مزارعها ومداها ، او قرأها الكبيرة ، تكاد تسفل كل واحدة
منها بامساح المدر الاعظم لما تحتاجه في حياتها البسيطة امساحاً
وراعياً يوسن متأخرة ، او امساحاً سناعياً ضئيلاً يدوات
بسيطة يقوم به محترفون في حواشيهم الصغيرة . ولم تكن ،
والحالة هذه ، تخري العاملات المسخرة بين كل منطقة
ومنطقة من البلاد . ولم تكن تربط بلاد شبكة من طرق
الواصلات فكانت العلائق والمحالطة الثقافية تالعمومة ، وكان
الشعور بالوس او الأمة حد ضئيل . وعلى هذه القومية
بمناها الصحيح نهضت على انقاض الاقطاع .

ولو ان الدكتور تأمل في شيء من هذا ، لاستطاع وضع
يده على امور اقتصادية في قلب المجتمع العربي لا يمكن
القومية العربية ان ينشأ وتنمو معها فكل بناء في الوعظ
ضد الانابيه والامكان الخ . . .

الا ان الدكتور يفوته النظر في الاجراء التي يتكسب
منها المجتمع العربي وفي علائق بعضها ببعض ، وفي الاجراء
التي تدعم القومية مهاب . ولذلك فهو يحدتسا بكل عموص

ولسمة من « المصالح الحاضرة والمقبلة » (ص ٣٧) .

« يعني المصالح الحاضرة والمقبلة » وهل يجوز لنا ان
نعلم من كلامه ان المصالح اذا تضاربت بين مختلف الجماعات
والامة . وقد افهمنا ان الامة من ان يكون امة ؟
واقع ان عدمه . ان عدمه . ومرة اخرى شئت
بنا الاستاذ ذريق الى عرب . وقد عدنا ليس هو حوداً بالفعل
ويعبر ان مثلاً .

« ثم انهم الى هذه الامة المصنعة في عرب ، في تنطق
بمساك واحد وليس في صلب واحد وتخصم لحسابها وعقلها
امكره » (ص ٢٤٥) .

طبعاً ان الفرق التي تصل حيلها لانتاج اصاعي وما
يهرسه من دعوة وعمل ، سوف يتوقف على مواهبه اكثر
من ان الامر يعني هذا ان سير في اوقات معينة
كي لا يقع خلال والمهم ، انهم لم يعمل
حين يصور الصافرة ، والجيتون تشي في صلب ونسب مصبوط ،
. ولكن الدكتور واهم جداً ان كان يشتد ان هذه
الاقام في صلبها ليس في قلب كل منها . قد روت مع شيخ عتيق .
وانا واثق من ان الدكتور به كل المحصولات ، الكتب
التقدمة والمجلات « العلمية » التي يقرأها لم ير قط صورة
مسكر من مسكر الاستعمالات مثلاً .

يبتغى من هذا إما في تعريف معنى الصحيح إلى الأمة
ببغى ثب أن لا تحدث من مصالح خاصة ومفصلة ،
شمة عامة ، من مصالح تشترك فيها الأمة في
دور معين من دورها ، وليس كذلك مع أنفسنا فلا
نرى اكبر من تصور مصالحهم والمصالح التي تشترك فيها
الأكثية .

ولما كانت هذه مسائل - بعض ما له كبر - رغبنا ونحن
نسمعه بقول عدم رغبة في الأحزاب السياسية :
« ونحن لا نرى الآن أن يتصرف في بحث هذه أو
كان من الأفضل لصحة الأمة أن تكون كالأحزاب ، أحزاباً
أو أن تبني فيها حرية الأحزاب . فهذا بحث طويل ،
لا يتسع له المجال » (من ٨٨) .

ولدي استجابة القارئ من هذا الكلام ، و قد
الآن أن يتصرف إلى هذا وبحث بعض الأمور ، وو
« اتسع له المجال » ، « هو ذلك » ، « وهل
لا يستطيعنا أن نت في المسألة ، و ، « مثلاً » ، « و » ، « واحد » ،
أو ، « الأحزاب المحددة » ، « وكأن ذلك هو ذلك » ، « في الأمة
ما دامت متعددة ، « في الاحتمالية » ، « و » ، « هذه المسألة
فيها تخالف » ، « فحقنوم أن تعدد أحاديها » ، « لا » ، « لا يتوقع
على قرار منا » ، « ولكن » ، « نحن » ، « كور » ، « يعني » ، « الحزب » ، « الواحد »

حرراً واحداً نسبياً ، وما سواه مفروض عليه الخفاء .
والنتيجة ان الدكتور حين يريد الامة « جيشاً مجتهداً »
يعمل كل فرد منه في ناحية من نواحي الحياة القومية ومثل
نمته بصدق وإخلاص ، (ص ٢١١) غير واقعي . وهو
يقس على بعض الاحرار ورسوم في الامم ، التربية التي يركز
عليها بتمهيد ، « ولطواهر قد يكون لها بواض حميت عما »
كما يقول (ص ٢٤٦) .

والنتيجة ايضاً ان الامة العربية في دورها الحاضر منتظر
ان يكون « - » التفصيلات والشهادات التي يراها الدكتور
فيكون كآرميا ، او يصحب كآشميا وينذر التصالح في الريح .
وتوقع دون هذه التفصيلات والشهادات « بجهد النفس — الجهاد
الاكثر » لنصبح « عنده » لا خوف علينا في جادنا الاصفر
بحرية و « - » (ص ٢٥٨) انما هو « كسرنا بقيمة
بحرنا صواب منه » .

على ان نذكر الدكتور بقومية متلاحمة لا ار لتضارب
لصالح في صميمها ليس سرايا ولا خيالا . وسير التريخ يمد
به وسد اكبر . غير اننا ، ونحن في الحاضر نعالج واقع
قصية القومية العربية ، لذا بعدد دت مباشرة .

وبعد ، « - » قليلا نتجسط بما هي الامة .
الامة من كل شيء جماعة بشرية عاش (ويعيش) بعضها

مع بعض اهدأ طويلاً ، قوي فقد تأملت سيرة سريخ ، شد
كيانها الامة والارض المشتركة والحياة الاقتصادية والثقافة
وعادات وتقاليده .

والواقع ان الدكتور زريق قد أتى ببعض حرائيات هذا
التحديد ، الا انه نسي عناصر منه ، راد عنصر ليست منه
كما رأينا .

وبمننا هنا بالاضافة الى ما قدمه سابقاً عن نظرة الدكتور
الى الامة ان قدمه الى ان وضع الدين او احسن منه صرح الامة
في مسألة القومية لا يستند الى اساس علمي . فقد يؤلف ابنه
من او جس انه محنة ، من قد شأف من امه ادين
واجناس امة . والدكتور موقفه في فصله عن قومية والدين
اذا اعتبرنا حراصة الموضوع وطريقته العامة في حب و تنمية
السواني . وهو موقف اهدأ حين يقول عن الامة العربية
« محالطة الام والجنس » (ص ٣٧) ولكنه رغم حسن
النية لم يكن موفقاً حين انحرأ الى مناقشة « التبيينين »
التبيينين في لبنان على اساس الجنس (قدس : القومية
والجنس) . فقصبة الامة ليست قصبة اصل حسي ، بل
اسماء بصورة عامة ، قصبة سيرة تاريخي وظروفي ونتائج
وموجبات تاريخية .

وحبذا لو تأملت حينئذ العنصرية التاريخية ، التي يخشى

الدكتور تغلبها (ص ١٠٨) وهو انه يتي ١٢ الانتفا الى
 وراء مع ان مربية التاريخية الصحيحة ويستمر في الماضي
 المحصر مائة من . وثلاث من . تنقية تاديه حبيجة لمرها
 ان . لا . حسب ما قد يرغب فيه ندر من لعداكين .
 يهون المذكور :

و عنه (ي .) . توحها . المستمن وهذا في رأي
 المذكور لا . من في العقلية التاريخية () لا بكتفي اللبناني
 من . ما هي اللغة التي ورثها عن اجدادي :
 ايبينية ام عربية : ان يرد بالحاج : ما هي اللغة التي
 اريد وسمي ان اكتم . ونعدها اداة الحضارة الان وفي
 المستقل الح (ص ١٠٨ - ١٠٩) .

كان نفسه مجرد رغبة فقط . لا رغبة اللبناني ، بوجه
 هم بل رغبة شاعر او معلم مدونة او تلميذ ، وهم الذين
 عن ان بهيهم الدكتور بقوله اللبناني ، اذ ان اللبنانيين
 سوف فلاحهم وعملهم وسائر جهابهم اعقل من ان يطرحوا
 على دماغ محض مسألة العربية والفينية ويطعنوا انصوبت
 لاحدها .

من ليست مربية فنية رغبة فقط لا في مسألة العربية
 ومربية ، ولا في المسائل الاخرى التي يذكرها الدكتور
 في فقه عظمت (ص ١٠٩) . فلبنان لا يكون فيبقى ولو

«ظننا مليون قصيدة» (عربية خلدت بها غاري) تريد
ان «تقينه» بها ، وما تفعل كل سبر مخفي و صروف
والتماسح والموجات المديحية التي مرت ، من يدرك من هذه
الفنية بين ؟

ولكن فنتزع الان الى ما هو اكثر جدأ .

سأنا ان قلنا : من الاصح ، ومن حملي ، من يحدث
عن حاجة الامة العربية لا رسالتها ، وان نأخذ المصالح
التي تشك بها اكتابة الامة في دور ومن من الامة .
وهو الدور الذي تحوزه الامة العربية يوم ؟ ما هي
حياتها الحاضرة ؟

يحيى الدكتور .

وهذه الحياة الحاضرة ولبده ، ومن رئيسي دماغ
فيها بينهما تفاعلا شديدا هما : الناحية المادية كما تكونت
عن محط هذه اسلاف الطبيعي ومبراتها الاجتماعية واثقافي
والحاضرة ، بنية اسائدة على المجتمع الحديث (ص ٤١) .
فهل هي لمولف انغير لسيط ان ما عرب اليوم هي نهاية
تعمل على صور انداحهم الاقتصادي و ~~مصري~~ وتوسيمه ،
فيظهر ذلك في نظام سياسي لم ، وان هناك قوى خارجية
(وداحلية) تصدى لهذا التطور ، وان حماة العرب احضرة
انما هي مشادة عنيفة بين هذه القوى ؟ ان كان يعني ذلك

فهو مسبب كبد الحقيقة ، على انه يتكلم بفواهم (والشاظر
 يفهم) .

ولكننا اذا تابعناه وجدناه لا يعني ذلك قط . فهو يقول :
 « وسواء رده ام لا رد بالقرب محيط يت من جميع
 جوانبنا احد عليا كل سيد من سبل حياتنا ، وسواء أشتنا
 ام لا نشأ فهذا المنصر " يدفع بقوة لا يقدر . . . »
 نفسه عليا ويعمل في كس مسبقنا . « تجري . . . »
 نعمه حق فهمه ودر كك كنه ونصرف مهيتة كي نحن محابته
 ويكون اتصال روحنا بروحه على نور وهدى ، صيرة ، لا
 يعمل الصدى المردة ، لاحوال المسيرة ، (من ٤٥) .

والذي يجوز ان نفهمه من حديثه عن هذا القرب والمحيط
 ما من جميع جوانبنا ، هو ما نسميه « قوة امرية » ، تقايد
 او روح العرب كذا ثبت الدكتور ن يقول ، وهم . . . والا
 فغير معمول ان يعني لا تصور بهرب المحيط ما من جميع
 جوانبنا سلطانه السياسي لميسوط علينا ، ثم يقول : « سواء
 أشتنا ام لا نشأ فهذا المنصر المتدفع بقوة لا تقدر سوف
 يعرض نفسه علينا ، فيكون بذلك قد صفق في وجهنا باب
 الحرية والاستقلال :

وهكذا فحيانا الحاصرة في نظر الدكتور « تفاعل » بين
 تقايد وثقافة العرب ، بين روحا مثلا وروح العرب ، اما

المشكلة السياسية فهي خط محب حداً في الدعوة في راسها
للكثور من حياً .

عبد فون كل شيء ان د ضم الفرب حق فهمه وفدرك
صحة الخ . . . ففصل راحة روحه على . . . وهدي
ومسيرة . . . وبكلام ادق ، عاب ، مثلاً ، كج فون لداكتور
ان د ندرك النظام الاقتصادي الحديث (اي . . .) على
حقيقته . . . حصة من سبالة ، ونحو . . . والهدى
والصيرة . . . فيمكنك ان . . . المصم الافندى الحديث
في حياً . . . من احب . . . اواسع . . . حبات . . .
اصابه . . . من مصار ، . . . (ص ٤٧) .

وهن الله حياصة . . . د ن هدي اوعى . . . لا يات
اصلة الى هذا الاهتمام . . . سياسة . . . حياً . . .
واحد حياصة . . . هو ارفع منه واسمى . . . ونقدوا ما يثقل
الهمس . . . مقر . . . هذا اميجان . . . ففصل فيه
ونهد . . . في ثور في حسمت . . . الى الامور نظره
قومية كبرى لا الصرة بحمية صيغة . . . (ص ٥٦) . . . كلام
حيائي لا يعرف ان د لاهتم . . . حياً . . . هو
الذي يخرج الناس من اصداف . . . الى الاهتمام دائرة من
الحياة العامة ان تكن صيغة اوان الامر ، فانها تمنع بالاحتبار
والاستمرار . . . ونضع قسماً قسماً من الناس الى نفس اصيل

العلم وعلاجاتها السديدة . ولكن عموم . كان يجب ان يهتم
من تحديد الدكتور عربي الواعي قومياً انه لا بد له ان
يتخصص في الجانب والامة والتاريخ اولا حتى يصر الى الامور
مرة قومية كبرى .

وكم يسارع الدكتور الى امور

• التي اعني : القومية شيئاً اعظم من السياسة واطوع . في
السياسة الا حية صيغة من تواجها ولون محدود من التواتها
لان القومية شئ من الحياة واطوع . وسيتولى الامة جميع
احواضها . من ذ في اكتساب حرة لامة وتوسيع حدودها
السياسي فحسب . بل ان الامة الروحية ورفق مستواها
الاجتماعي ومعنى والتبرها الى من طريق
الحياة النثر . (ص ٧٦) .

وما لنا وللفعل السياسي ، وقد كثيره

مثلا :

• انفسامة ناعمة احيت نفساً ورفقتها من وحدتها ،
ولرب دمة رقيقة ظلمات الشقاء الكثيفة ، ولرب
مطرة خفيفة الامن بعد اليأس والهناء بعد التوس ،
فذا انصبت هذه الدمة الحساسة وتراذلت بحاري هذا التي
اروحاني في المرأة من حمير حرة واصلاحية ،
تدفق الر والاحسان وخص الحب واخلاق وكان معها الامة

الخبر لعميم و مع الجريدل . ولعمري ان في هذا لخدمة
قومية جريئة لا يناديها العمل السياسي او الشعبي السادي .
(ص ٧٠) .

كذا : جمعيات صلاحية نهضة مجيبة : انقذمة ، عمة
حتى دمة رفيعة — كل تلك فيها خدمة قومية جريئة لا
يناديها العمل السياسي او الشعبي السادي . ولكن مكبر
الذكور حقاً اورد من هذا . فهو لا يدع ان يتركه
العمل السياسي في حيز الضوم ، هذا ، جمعيات القومية
نكمل عمل الاحزاب السياسية (ص ٨٩) ثم بعد ذلك من
هذه الجمعيات : الكشفي ، الجمعيات النسائية ، جمعيات الاحسان ،
مؤسسات التهذيب ، جمعيات التشجير واستخراج وانفس العمة
وحفظ الآثار واءدات وترجمة الاداب والموسم (ص
٨٩ - ٩٠) .

وفي الصفحة (٢٠٣) يقول : « الجهد الثقافي لا يمكن
ان ينفصل عن الجهد السياسي لتحرير البلاد وتقوية سلطانها » .
على ان جهاد مجرية والاستقلال يبقى والجهد الاصغر .
ان « الجهاد الاصغر » هو جهاد نفس ، وهذه الحكمة
الاحيرة ينهي (ص ٢٥٨) .

واسط بسط عن القومية العربية ليوم اسما في دور
موها ، وان حاجتها هي الحرية والاستقلال . وتلك هي الحاجة

« فتريلها او تخفف على لاف من وحنه » (كلاميون
مثلا) بابتسامة فاعمة ، بدمة رفيعة ، مع بحية اسح ،
(ص ٧٠) .

يقول :

« ما كانت الشكلة السياسية والارمة لوصفية نوار .
حرماً من هذه المصبة روحية ، وما كان اي من انعم
ونسمتي ولا هذه لازمة الدحية في نصح حدم الامه
« مصمغ فواهب ولا ... لولا ... بكم » حدم « را
هذا مصمغ الروحى لذي هيئت الرأه بصيهم ومراحب
لارائه والعب عليه . و احوجنا اذن الى هذه نهجة مع .
معها المنة في كبر مصمغ ... ح » (ص ٧٢) .

ذلك بعد ان يكون مر من عن سلك

« غالباً ما نستويهن الباطل الماده الرائه من روى في
المأكل ونفس النكس ، ومن رعمة في ظهور ونهاف
على التقليد » (ص ٦٧) .

وقال عن حدم . ان اكريم نصحون الى « التكالب
على اوطيعة » من « مر » و « دورات » الحزبية الهدامة «
(ص ٦٩) .

وفي هذا مدحه مصمغه ، فمؤد « وافي بحمن
« واحد اسبي » « رسالة رفيعة » كما يقول (ص ٧٢) .

لسن حيراً من رجالنا ، فكيف بنفحن اذن ، نفحة عبودية في
 كياننا فيحييننا ؟ لقد سمعنا بموتى يسمون موتى على لسان
 السيد المسيح ، اما موتى يحيون موتى فم نسمع ! وواقع
 ان الدكتور ، حين يرمي لساناً ورجلاً تحت المهاد ،
 لا ذهب بنفخه الى ابد من روح وسب فنان معينة :
 المفقين الناعمين والاعنياء المترفين ! ولو هو قد ذهب بنظره
 الى ابد من ذلك لما قسا قسوته على رجاله او سائب ،
 واصر للمرأة دوراً غير حسب اكبر اعمه وخلص ، والتأثير
 الروحي على ارجل الذي يبقى هو الشخص الاسامي في
 كلامه ، وكان المرأة هكذا له . اجل ، لعرى للمرأة دورها
 الى جانب الرجل مساوية له ، بل انشد وانشد منه في بعض
 ميادين الجهاد .

وبعد فما حدثت الوحدة العربية الذي وعد به ؟ يعني
 الدكتور زريق على الدكتور صه حسين ، اصطراجه الشديد
 في فهم «الوحدة» و«الحلف» والتشهير بيني « (ص ٢٤) »
 فيقول :

« كيف يمكن وحدة ان نحفظ «الموميات» ونقوم على
 « الحلف » ، في حين انهم تذبذب جوهر الامة الواحدة
 « نسمت من مبراتها الخاصة وقوميتها ، ثمة ، ولا تكفي
 بروابط الحلف الخاصة في الاكثر لتفقد الاحداث والمصالح

و يطردف لسياسية وسواها ، (ص ٢٤ - ٢٥) . وهذا حلم
 نقاي يرشد الدكتور ريب ان نعلقه على القصية العربية .
 و منهم من كلامه انه يؤثر « الوحدة » على « الحلف » .
 وفي مكان آخر يرد ازمنا الاقتصادية (اللاحق ان الدكتور
 يربط ازمنا في امكنة محتمة باسم محتمة) الى ان « بلادنا
 هذه صيغة الحدود محصورة الجواب ولا طراى قد احييت
 الحواجر والحدود الاصطناعية ، صيقت بحار لعمل وقيدت
 قوى الانتاج » (ص ٢١٩) بحيث تصدات العلائق الاقتصادية
 بين الاقطار العربية . وهذا تكاد نتيقن من ان الدكتور
 يؤثر « الوحدة » على « الحلف » . ولكنه لا يبين مدلول
 « الوحدة » ولا « الحلف » ، وانه لامر اساسى جداً قد يمضي
 البحث بدونه هباء .

عن ان اوحاع ازمنا و « صيق بحار العمل » و « تقييد
 الانتاج » الى « صيق الحدود » و « انحصار الجواب » لا
 يحاه المشكلة العظمى الاساسية وهي : بنية لتحرر الاقطاعي
 وبت التي اسمها الدكتور « المواصل الاقتصادية الجسارة »
 (ص ٢١٨) . « منها بلغ من رغبتنا في « وحدة » عاجلة ،
 فالامر المهم ليس رعيننا بصفنا نقر من المدين او المفكرين
 « عاصمين القلائل » في حروطة الشرق الادنى اقطاع عربية
 بعضها الان منفصل عن بعض . وبيها تفاوت محسوس سياسي

الدكتور

والامة العربية يوميه هي روح مسدى الحياة العربية
 لجميع نوحها ، فهي لا تقتصر على ميد الحرية الخارجية
 والاستقلال السياسي ، بل يوميه هي روح من هذا الكثير
 الى تحرر افراد الامة من العبودية - حبية ، الى توحيد
 وسط من السعادة وحرية حبيبة ، الى كل حياته الحرة ،
 والقلبية والروحية ، (١١٥) .

وربما كانت هذه القطعة جزء من صدر من وعي هجج
 في مكاتب « الوحي » يوميه « كلمة » هذا هو صبح ليل
 الدكتور ان نفهم به « الحرية الخارجية » و « عبود لداخية »
 عبر فهم صوفي ، فيكون معنى الحرية والاسلام « المصحح »
 ان تعنى الامة من سيطرة العروسة عليها من خارج ،
 « اقتلع من صغورها » ، « لداخية » الى « لها اطناب تلك
 السيطرة » ، و « من روح مستوى حرة » ، « جميع » « اخرى
 من حرة » ، « حرة » ، « حرة » كما يقول الدكتور « وبها
 احسن » ، « من » ، « من بقايا الانصاع الكثيرة (حتى
 الدوم » ، « ان » « عربية وفرة » ، « مسحة » والامر
 « ماشية » « الله » « شمس » « مع » « يوميه
 والاستقلال والحرية » « صحيحة » .
 والامة العربية ، شكل امة ، هي اولا و « حر » امة

لشعب عربي - اكثرية دت بيد الصامعة المستحقة ، يقول
الشاعر جبران :

« لسانى هو العلاحون الذين يحولون الوعر الى حدائق
والتين ، واحة الذين يغودون قطعاتهم من واد الى واد ،
والكرمون الذين يعصرون سبب حمراً ويمتدحون سحر ديباً ،
والروحان الذين يربون القوت ، والسماء تلواتي يعزل الحرير ،
والازواج الذين يحصدون الزرع ، وروحات اللواتي يجمعنه
اعماراً ، والناؤون والحائكون وصامو الاحراس والنواقيس ،
وشعراء المعصرة الذين يشدون « المشاب » و « المقف »
و « الزحل » . وشعراء « مصيح الذين يسكنون ارواحهم في
كؤوس حديدية . ان لسانى يتحلى في اصبية جامعة اسقون
بني همدات لبنان وبين « كك تلاله واحراصه » . (من
قصده : انكم لفتاكم وبي لسانى) .

وقيل في الادب العربي صورة موطن صكده الصورة
شعرية ، صحيحة اصلاً ، ترسم أبرز ما في الوطن واهم من
فيه : المامنين المتجيب . وكان الدكتور زريق في كتابه
روحهم ، وهو عن هذه الحقيقة ، والملاح مثلاً ...
« يعطى احدها على الفلاح » (ص ١١٦) شكراً على
انه اصبح وطيب القلب : واحده يعطى على الفلاح « لانه فلاح
عربي » (ص ١١٦) لا لانه يؤلف اكثرية الشعب العربي ،

وليس لأن كل سعي للتحرر القومي لا يدعمه وعي الفلاح
ومأثمه وسائر الشعب العامل المذبح في لامة أنت هو حديث
خرافة وسخافة .

وحذير منا . ان نساء : من يمي اندكتور حين
يردد الكلام دائماً عن « العربي » . « شخصية لمربية »
و « رجالنا » و « نائنا » ؟ ون الحواب على ذلك بمينت
جد الاعانة على تفسير سبك من لشعر يكاد ينمى في كتاه
كله . يقول :

« نحن نهم بصيت الشخصية واحوس الخاصة ، كأن العالم
ناسره ، خلق لنا ونعم ان يُسر من احنا . نحل بعى تقنيه
او جاء نكبه او عز قناله . وان التعت بعد ذلك دائرة
اهتمنا فلنكي تشمل اسرتنا وما ورنث من نسب وما نحتل من
مقام ، او بلدنا ، ما شور بها من مشحنات واقسامات ومن
مناورات وعصيات . قد يمتدى اهتمامنا هذه وتلك الى
الوطن ناسره ، نتحدث عن احواله ومثاكنه ، وماضيه
وحاضره ومستقبله ، لكن نعرف نصل صيقة واصلنا يبقى
محسوراً » (ص ٢٢٠) .

ثم يقول :

« وكثيراً ما نساء عن لافلاس خلقي الذي منبنا به
والاخطاط الادبي الذي هوينا اليه ، فنجد ان العامل الاكر

ليس هو شك - على قدم و سمي الى كسب من ياب
 من هذه كتاب ، حتى ان واحد لا يرد عن اذنه من وجهه
 ومن ثمرة روحه حقه في سبيل وطيفة تلجم عليه او
 من من يرد ، من به اول الامر اليه . . . ان سعيها الى
 المدة لا يصر على . . . الحجة ومدواة الفقر . . . من يرد
 ذلك حتى صرح به في المدة من اجل المدة من اجل
 لجميع مديته . افعاً لذة الكتب المادي . . . شهوة احده فوق

ال . . . الادبية والروحية . . . (٢٤٩ - ٢٥٠) .

ثم يرد على الاناسة ، وشهوة شهوة واحد ، . . .

(من ٢٥٠) .

و لا يرد شيء كمنه مثير على سمي المتواصل و راء
 هو فورا صاحبة متفرقة ، و مجتمع مصدا الى بعض و بعض
 معة مدة من اجل ثم لا يرد عواص التمكن و . . . حتى ان
 هو من راعته و يعرف شهوة . . . (من ٢٤٣) .

ولا نحتاج الى نظر طويل في هذه القطع التي يكاد انماها
 في الكتاب كي يرى ان . . . و مع نصف ذهبه و من
 ممية من الذهب العربي حصص : بعض جماعات يتقوى الدين
 بجعل لهم عروهم و ان . . . خلق لم ويجب ان . . . من
 احلهم ، و ادين و بموروث فورا صاحبة متفرقة . . . و يفتنون
 . . . و يستعملون بجعل عقدهم اعمية . . . و الشقاء الذي يتصاعد

دوما من موعدهم . . . نتيجة للتنازع الداخلي الملتصق بين قوائم
 القومية المتنافرة المتصارعة (ص ٧٣٨) - أكثر من
 نصف دول أي صومال و صوماليلاند و صوماليلاند و صوماليلاند من
 تجار كبار و أصحاب عقارات ضخمة و إلا فإن الدكتور -
 حتى يتم من سعي الإصلاح أو لعمل عربي فحده - على
 أرضاء الخطة و مداواة عشر (هـ) (د) (ج) لا يمدى
 ذلك حتى يبلغ رعيه في د مائة و من أجل و مائة و
 مائة أو ثمة أي - ثم و نصف في مائة و من أجل و
 مائة من حصة في مائة .

و يمكن أن كنت لا تده في حقه هـ الأمور في قسم
 إلى معظم المصالح و لأثره ، لا يرمي موقفا في كبر و عطية -
 قرب و بعد أن عظم ذلك المحور - قضية تمت في احتفالات
 لها هربا و حمة اللحم موفقت توبها و يبرو عبيد الأيتام -
 و الهرة قد صارت أدبها في زاوية من المصحح مع ، أكل ،
 سئل بمعه و حقه ، الإاعة الآيات و دوعة الفن فيه .

ثم ألا يرى الدكتور انه يقسم حدا على خمس منقضية
 وهو يه و صاه ثقافتك العمية كما لشهد مصر في هذا
 الموضوع ، و صاه الآخر عن الثقافة الصحيحة و عناصرها ،
 وهو قوي دلت يعرف ان الأمم الطامحة إلى لتوسع و العمية
 قد استندت أو سائل الفعالة بلقضاء على ثقافة الشعوب المحكومة

(ص ٢٠٤) ومرفى ان جهاد الثقافي لا يتمكن ان يفصل
 عن اجهاد سياسي لتحرير البلاد وتقوية سنهاها (ص ٢٠٣)
 ولكنه بعد هذه الاخطرات واعية صريح من يسهل ! فحده
 شجب و ضميمات مع اراء على اعم الخالص (ص ٤٩)
 واي ضميمات مع رائف او غير رائف ، حسب الدكتور بعصر
 عليه ان دور في البلاد مربية قرية من غير مدرسة ! ثم تحده
 حتما لا تصنف على مواضيع الادبية واعمال الانحاء العلمية (ص
 ١٦٠) كأنه لا يرى ان لا يصرف الى العلوم كالكيمياء
 والهندسة لا يشهد الا مع مهنة صناعية زراعية ، كيميائية
 والمهندسين مراكر عم ، وصناعة ودراسة مشهولة . وفي
 اووور وامريكا ، مصانع ، وكارز في الادب والشارح
 (اعتقد ان الدكتور ، ،) انبيه) مودون فيقول افعالا
 عليهم ، ويكاد يصعب كيميائي والمهندس (انهم الا المدرس
 احبنا) .

واجب ما نعلمه الدكتور هو ان يدعو الحكومة الى
 السيطرة على مناصب تعليم وعلى سواها من محاري قسم
 والادب كالمصحف والادب الالمانية والحميات الثقافية .
 (ص ٢٠٩) ومن بين و حتما لسلطات العربية (؟) في هذا
 يعرف الدقيق من حيثته ، لقومية ان نحس احتير الاشخاص
 الذين توكل اليهم نقيم هذا العمل الخطير (ص ٨٥) وكأنه

في برهة دهور سي قوله من عصاء على ثقفه اشعوب
 الحكومة (ص ٢٠٣ - ٢٠٤) وانما نحن من هذه الشعوب .
 وصوب لنا مثلاً (انت اعتبر !) من «الفعالية الحكومية»
 في الغرب (هالك ، مرقى وهناك ، التريق دائماً !) (ص ٢١٠)
 ولا ادري كيف صحت المقابلة هذه بين حكومتنا وحكومات
 الغرب المستقلة بل لا ادري كيف يريد ان يكل الثقافة الى
 مطلق حكومة . ومنهن من يمس سواد الليالي بحرائق
 الكتب !

وبعد ، ولا بد من وقفه على « سبيلنا الى المدة » ، هذه
 سمي اصل الذي لا يقتصر على ارضاء الحاجة ومساواة
 دهر ، من بعدى ذلك حتى اصبح رغبة في المسادة من احد
 المادة (ص ٢٥٠) بيلتفت الدكتور الى سير تطور العرب ،
 هذا انه لا يحدى بخرص على ان يصوره لنا مثلاً يحتذى .
 ألا يرى مدد لثورة الصناعية ان السعي الى « المادة » : اي
 الانتاج من اجل الترحى نحو الحاضر الاي ساعد في ترقيه
 الصناعة ، وسبيلها الآلية العجيبة واساليبها العلمية الدقيقة او
 حد عظيم ، واعن على احراج عرب من التحول الاقصاعى
 والانتاج « لارضاء الحاجة » ، ومنفتحت للحياة حلت جديده
 كثيرة وتقدم الغرب تقدمه الجبار وبات من الممكن
 والصرورى تنظيم الحياة على اسس افضل في المستقبل . وسمى

المرء من جهة من جهة وان من علام
 شاذ وجب لزم فنقدر لامة على الحاجة
 من جهة من جهة الناتج المادي ، والاكثور
 لا يصح شيد فومية عادية لفنفس ، تصوى .
 من جهة من جهة لامة لعله يقصد فقط
 من جهة من جهة لامة من جهة من جهة
 من جهة من جهة من جهة من جهة على ان تلك حكاية
 من جهة من جهة من جهة من جهة

تصحح ان من جهة من جهة من جهة من جهة
 من جهة من جهة من جهة من جهة من جهة من جهة
 من جهة من جهة من جهة من جهة من جهة من جهة
 من جهة من جهة من جهة من جهة من جهة من جهة
 من جهة من جهة من جهة من جهة من جهة من جهة
 من جهة من جهة من جهة من جهة من جهة من جهة
 من جهة من جهة من جهة من جهة من جهة من جهة
 من جهة من جهة من جهة من جهة من جهة من جهة

غير ان من جهة من جهة من جهة من جهة
 في من جهة من جهة من جهة من جهة من جهة من جهة
 انزوا من جهة من جهة من جهة من جهة من جهة من جهة
 من جهة من جهة من جهة من جهة من جهة من جهة
 بالعمى من جهة من جهة من جهة من جهة من جهة من جهة

تألف هذه الجمعية في معظمها من قاعدة الامة ، من ابناء
الشعب ، الذين لا يكاد الدكتور يحترمهم ، وليس الاعتراف قراء
يتحدث عن « عظم احدهم » عليهم (ص ١١٦) .

سوى ان العرب ليسوا وحدهم في هذا العالم . « كتب
يتغير في الوعي القومي العربي لا يمكنه ان يخرج هذه الحقيقة
المسيطرة . والدكتور ذريق شاعر بوجود « عرب » في دمه
صوره « منبسط عليها الحسنات (ولا شك ان للفرد حسنات)
وقد رأيت كثيراً ما يضربه « مثالا يتحدى (على « كل
مع الاسف غير موفق حذاً) وصره يربط الدكتور «
العربي اليوم بوصف الانسانية عامة ونسباً عربياً فيقول :

« الفوضى التي يعيش فيها مسلم العربي اليوم هي جزء
من الفوضى العالمية التي تنحط فيها الانسانية عامة ، في لا
يد لنا من ان تتأثر بها بعد ان قرب العرب الى «
من العالم كله بلداً واحداً (ص ١٧٢ - ١٧٣) .

وربما اثنتم الفارسي من هذا الكلام اننا « الامم الذي
قرب المسافات الخ « لكنها تتعرض عن « المعوصى لمالية »
ولكننا بالبحر « كأن الدكتور لا يدري ان هناك «
توسعية تربطنا بالعالم ونقهرها على التأثير بالمعوصى لمالية .
ويقول الدكتور :

« ما من امة في المستقبل يمكنها ان تهو في هيدل

القوميات استطاعه الا اذا كانت راحلها ونشأتها ، بكبارها
وصغارها حيثاً عنداً الخ ، (ص ٢١٠ - ٢١١) .

وهكذا بعد ان قرر الدكتور ان العالم في قوسى ،
قرر ظاهرة قوية في العصر هي تطاحن القوميات ولا ريب
انه مصيب الى حد بعيد .

ولكنه لا يكاد يحس ان هذا العصر ايضاً قد برزت فيه
قضية تعاس القوميات وامكان تحقيقها بل وحبسه ، كما لم
يعرف التاريخ من قبل . فإذ يرومنا حقاً هو تقريره
ديمومة تطاحن القوميات في المستقبل ايضاً .

والدكتور يعرف طبعاً تلك النغمة اليائسة التي مؤداها :
ان الامم المستعمية منذ اجيال تقع اليوم موطوءة تحت ارجل
الدول الحاضرة ، بل ان الدول المطمى نفسها لا تكاد تستطيع
حفظ كيائها واستقلالها ، مما طاقه العرب المساكين ؛ فهاذا
يجيب الدكتور على هذا القول اذا قرر ديمومة تطاحن
القوميات في المستقبل كما فعل ؛ لعله يقول :

« كان نيودور روزفلت . . . سئل الى الله قائلاً : اللهم
انني لا اسألك حلاً حقيقياً ولكنني اسألك طهرأ قويا . » ونحن
العرب الذين احاطت بنا لمشاكل وارفتنا الاعاء لا نعلم
تخفيفها او ازالتها . . . بل نطلب صبوراً منه ان تنصع احبالها
ونفوساً متعبة وارواحاً جائرة تستطع بدائها ان تنصب عليها

(ص ٢٣١) .

كذا ، نصل طهوراً قوية ، موسماً متينة ، ارواحاً جارية !
 الكلام فحم فروع . على ان الواقع يبقى ان تطاحن القوميات
 واستعباد بعضها بعضاً هو استمرار اساساً لوضع العالم لبات امكان
 تحرر العرب ، ميراً جداً بالنظر الى موقعهم الجغرافي وحالتهم
 المحاصرة وجنود قوى اشد منهم عليهم ، او احاطتها بهم .
 والحق ان تطاحن القوميات لو استمر كما يشهرون الدكتور
 لكنت هناك مبررات قوية اثبتت النعمة ، بياسة التي ذكرناها .
 ولكن هذا التطاحن قد دخل فعلاً في دور بلوغ طاقته
 وانتهائه في سبب التاريخ . والى جانب القوى التي تعيش
 وتتصخم بالتطاحن تنمو في العالم اليوم ، وفي قلب كل قومية ،
 قوى لها المستقبل ، تريد حسم التطاحن .

وذلك طبعاً لا يعني اضمحلال القوميات بل تصانمها
 وازدهارها . والتطاحن هو الذي يقضي في الحقيقة باضمحلال
 القوميات بفترس بعضها بعضاً ، ولا سبب باضمحلال القوميات
 المستضعفة والصغيرة . والدكتور نفسه لم يفهم ان الامم
 الطامحة الى التوسع والملبة قد استنطت الوسائل الفعالة
 للقضاء على ثقافة الشعوب المحكومة . (ص ٢٠٣ - ٢٠٤) .
 وهكذا يكون الدكتور حين قرر تطاحن القوميات
 اساساً للمستقبل ايضاً لم يشمل منظره كل العالم اولا ، ثم لم

ينظر الى سير التواريخ ، ثم م يكذب بحس ان تقريره لهذا
 التطلحن في المستقبل ، معاً معناه افعال باب التحرر في وجه
 الافوام المستعملة والصغيرة ونسب و وعيه لقومي ، نسفاً ،
 وهذا سهو في ، مكبر بقومي العربي شاع حصر ، وهو
 بالنتيجة لا يخالف عميداً (او هو يؤدي الى) ذلك ، بل
 الاثم عند بعض احداثنا وشرافنا السياسية التي تشخص الى
 هذا الطريق او ذلك ضمن بعض موميات المطاحنة ، ولا
 تفعل سوى اعداد نفسها للمقاومة .

خاتمة...

بقول الدكتور :

« على كل منا عندما يهتم بتحرير مقال أو الفاء خطبة أن يتساءل بصراحة : إن ماذا أروي ؟ ثماني أصيب بمغني إلى هذه الفوضى الفكرية التي ينتجها من مغني وأودى بمنعصر جديد إلى العناصر التي تحتاج في تحصيلي ، وزياد في بدنه وهي واضطرابها ، تكرني ، أم أي أمن تهجيه قوى هذه الامة لعقيدة حو فكره صائبة ، عتيقة وصحة ؟ » (ص ١٧٨)

ولا ريب أن ذلك امر بزم في عين أهل الادب والفكر . على ص ، بصيغة من تصحيح الدكتور العربية في كتابه . وليس يرى القارئ مدأ من ن . نحن نعلم : هذا احد المؤامرات بمصيحته جد الاخذ ؟

وهذا يحذر منا ان نحاول تصفية الحساب مع الدكتور

ووعيه القومي :

١ . رتبته دائماً مستجلاً . و د رتبة مرتب ،

و د . عسمة عليها تشدد العقيدة القومية العربية ، و د مسألة

الحزب الواحد ام الاحزاب المتعددة ، و « القومية واسباب »
 و « اسباب التفقر والقتل في ثقافتنا » - كل هذه . كما
 ربما يعلم بها الدكتور الماتت مرة بحجة انها تتطلب مثلاً
 « دروساً عميقة وثملاً طويلاً » . فلا يتكلم القارئ ان
 يقول في نفسه : « حسب مؤلف يدفع الى كتمان في متعين
 ونمائي وحسب صفحة ليزعم لي من هذه لقضاء الاساسية
 في موضوعه انها تتطلب « دروساً عميقة وثملاً طويلاً » ؟
 ٢ - يصل المؤلف (عن وعي او لاوعي) على القضية
 العربية من وجهة نظر مثقف (صانع ذرعا من بحث هم)
 على انه لا يشمل بصرته الا المثقفين الداعمين منهم والصحف
 والنزوات والمقارنات الكبيرة . ولا يكاد يرى القوى الخارجية
 (المادية) والعوائق الداخلية (لادبية) التي تشل القومية
 العربية وحريتها واستقلالها .

٣ - والـ كنز لا يصر على حاجة العرب لاولى
 الاساسية ، وما يتطلب هذه الحاجة فراء ابداء مستعدياً لا تقص
 الجهاد السياسي ولتقديمه « صوفيات » كجهاد النفس وما
 اشبه .

٤ - انه هو لا يبدي تقدير صحيحاً بدور ساريجي
 الذي يجوزه الشعب العربي ولاحوال العرب والامم اجمع كما
 يصور من تقريره ديمومة تصاحن لقوميات ، ومن امثله في

بضررها من العرب في ناحية لاقتصاد حصة . وفهم الدكتور
للمثل الاقتصادية ، حقاً سادح . وقد اظهر احتياط العالم
في السنوات الاخيرة ، في رأيه ، و ان الازمات الاقتصادية
لا تبالغ الا بجلده ، اوجبه واعمل المنهج ، (من ١٤)
عاشى هذا العلاج تك ترى اليوم . علاج ناجح ان شاء
الله ا

• نثره بالصوفيت قوي في تعابيره ومعانيه . فكثيراً
ما يرد كلامه عامصاً جدياً ، وما اكثر ما يأتي المتكلم عن
طريق وذائل ومصادر روحية وجهادات نفسية . ونصب عليه
فهم المادة والمادية فيها متديلاً ، مع ان درس معناه بالطريقة
المادية هو اندرس وشمحيص العلمي الذي يكرر ذكره
كثيراً .

على ان في كتاب الدكتور حياً سحله به معصية ومدير
هو تعلقه بالعرب وعيرته على تراثنا الثقافي وحسنه على لمعص
الغنائي وتاريخ المثقفين وغرورهم اعمارهم اذ حصول سطرأ
او يقرأون كتاباً او يحملون شهادة الحج •

هذا ، وما يسمى لنا ان نغترق فيها لغاري لا بعد ان
نشكر الدكتور الذي حمنا على مائدة العروبة هذا سقش
والفكير في صميم قصائده . ولا بد لنا من ان نسط حلاصة
لرأينا في قضية القوميات عامة ، والقضية القومية العربية

حصة .

١٠ من اوجه النظرية في مسألة قوميات عامة ، قصروي
ان هندي في صالك تفكير ، هذه لعامة بارزة :

١ - ~~تقسيم~~ الامة مع سير خروج ، وتوافق انشاء
قوميات (بلقي الصحيح) قيام النهضة ، السياسية الحديثة
في الامة ، وتمدن الدفاع ، وعلية أسلوب من مكر عامي
مات .

٢ - تتم القوميات في ~~مستويات~~ : قوميات متقدمة
سوداء وفي مرحلة مسيطرة تسمى في منتج ولتوسع بدواع
تمدن الاقتصاد ، قوميات مملوكة على امرها طعمة المشاويح
قوميات الاولى .

٣ - تلتحق قوميات الاولى فيما بينها قوتاً مستمراً
بوجود بعض الحدود في الامة ، وابتاع هذا ماوس نتيجة
السيطرة في مصحات حربية عظيمة من اجل اقسام اعلم
ومدة اوسع .

٤ - في (آن هذه) تكون قوى امة بصلب الخروج
من هذا الدور تاريخي (دور تصاحب قوميات) اي دور
تدعيم ، تدعيم ، وتدعيم قوميات القوية على امرها الى
الامدق والاسو .

٥ - ينهي صموح مكررة قوموية صحيحة في : تفوية

طائفة الانتساج عند الامة حتى اقصى حد ، وتحسين احوال
الافراد ماديا ومعنويا ، ونشر الثقافة ، وادارة كل معونات
الغنىمة في طريق ازدهار الامة ونمو مواهبها .
ومع كل ذلك ، وفي يتعلق بالجمعية القومية العربية ،
يمكن تلخيصه في هذه المعالم الاساسية :

- ١ - امرت ايوم من غوميات الشعوب على امرها ،
بعدمحون الى حربهم ويقتضون من احلها ، على ان
الخصوات واوجبها في طريق تقدمهم ودم شعهم .
- ٢ - في كيد امشة الاحتمية العربية مدد كثيرة
مدد ومعدية تنفي زدهار قومية ، وتصل كوف الاقطانية
(حتى وسداوة ايضا) .
- ٣ - على ان في الجمع امرن قون حية ميمه اسند
الى قوميت : قون من صلاخ اشاج صناعي ذراعي يسمى
لها ب نمر ، اد هي مددة مدد مهنة قومية ودعائها .
- ٤ - ان دقومة مدد من قوميت تنصافي مع مصالحه
مدد ، لاهم قومية مستعمدة غيممة من عسائمه شطاحي ،
شدهجهم تربط بخروج العالم من هذا الدور تاريخي .
- ٥ - لا بد بقومية عربية في ميمه اي سحرر من طبيعة
مددية شاف وسكيف خلال العمل نفسه ، تتصف بمسويات
رامة من التصحية والحماسة ، تستمد نواة صفوها واركانها

من طبقات الشعب (لا من فئات المثقفين وحدهم مثلاً) ،
وتتبني نظرة فلسفية الى الطبيعة والمجتمع والتاريخ قوامها درس
الامور درساً علمياً في واقعها وفي سير تطورها واتقلاها .

٦ - ترمي القومية العربية الى تقوية الامكانيات لدى
العرب في ميادين الانتاج والاقتصاد ، وبشيط ابداعهم الثقافي
وتنمية مواهبهم حرصاً على سعادة ابراهيم والسعادة التي
يستطيعون ان يؤدوها للعالم ...

تركز المهضة القومية

كان هذا الكتاب في قضاء القومية قد أعد ، يبدؤا بمصحه
لما انتشر اننا المغيم — بدأ عصبة لمران واسلالة اصلاح
في وجهه من ارادوا حرق حياته حلاوه لمهدته ممة (وهي
مماهدة لا شك ان كفة مصالحهم فيها ترجح كفة اوراق
نفسه) .

وتدل الدلائل التي لا تحصى على ان حرصه فقط
التفريق الباسل انما هي وثمة حجارة في قدم العرب وعطود
ادراكهم القومي من مجرد التعمي (الذي لا يعني) ، و
اقامة الادعائم المادية التي تذكر عديها نهضت شعوب . لا
نحائنا مقالين اذا قلنا ان هذه الحركة هي اولى وثمة عربية
قوية حدية في — ان استقلال العرب وحريتهم واعزيز كيانهم
المشترك . هم يكن له يد من الحق شيء عنهما هم البشر
الصغير .

لقد ادرك اوراق التفريق ان وضع نفسه في هذه الحرب
تحت تصرف فريق من الخصمين الذين تصاحفوا انهم يرمون
بكيانه الحاضر ويستغله ويستفيد العرب حملة ، فبهم اعموه

هبة واحدة بنصفهرون انصافاً واستنكاراً من جراء انزال
الخنود مسخرة وتذكورها في اديس ابابا العربي شمس . واعلمت
حكومة اسيد رشيد علي كبلاني موقعها الى جانب الشعب
ودع محب شعور الفخر والتمطة لفخامة رئيس الحكومة
بصريحه : ان حصاره ليست مأجور لاعراض احد كما
رسم ان يروح اوو المصمم . فكان العربي في زيارته لا
مكن ان تحرك الا بمحرك من وراء ستار بسببه بالنتيجة ،
كما وقع في حر الحرب الكبرى المنصرمة . وان من الامور
الرائعة ان تنشط حركة مرق في وقت لا - طيع فيه
حس استمري ان يهرون ان يقهر الشقيق حجة طرد
حس بحر منه .

علي . ان حركه مرق يسمى ان تكون مربعة
حجة ليتغير شهر الشقيق من كل جمدي تحس ، وكل
مقدور في البحر وقت ، ولا يتخذ فريق محارب حجة
او صروره لاهل او صبه باسم محاربة ، يبقى الاخر . وهكذا
يكون راما حشر جهود مرق في المقطر الشقيق نفسه حتى
اقصى حد ، واستنصار . ان في جميع اقصارهم ، وقد ابدت
الحكومة المراقبة حين علمت عمق سياسة ما ، ووردت
الاعتماد لا على الحس لنظامي وحده وعم استبساله الرائع ،
ن على مشائر المسحة وشمع المسلح عامة ، فوذهت هب

في حرائرها من ذخيرة وعتاد ، وشهدنا لأول مرة حكومة
عربية تحمل السلاح هي وشعبها كتمناً الى كتمهم .

ومن الواضح ان لا أحد يقصر تحقيق من استمر شت
بوضع العالمي بيسر له الحصون على مواد جديدة حربية . وان
هذا لم يكن . فالعراق غني بالبرون التي اسبده من عاصمه .
والتي لم تكن لدى القطر غنيون ورجال مصيبيته فممكن
بيعها حاصلاً ، ذلك خبر من افان . ربه وسده ارفع مع .
والعراق غني ايضاً بمواد اخرى ، ويستطيع ان يمدد العلاقات
الحدادية مع كل دولة ترغب في الامر ، فهو من ذلك .
حاجاته الحربية . بل انه ليستطيع ان يتلقى المساعدات شريفة
ان لا يكون لها ثمن يمس دكيته الحر وكيون العرب اجمع .
والصل هناك عناصر تريد توجيه الحركة العربية وحده
حاجية واحدة ، ولكن يجب ان يمدوا الى الاستفسار ان الشعب
والحكومة لا يقدلان ، وهذه سمه العراق لا خبر فيها
عبارة الا معطية باسم العراقي . المهم الا ان تكون عبارة
عدوة . والاحبار تردنا عن اسم العلاقات الجديدة واستثنائ
العلاقات المقطوعة مع الدول آخذ بحراه . بقيت المسئلة فيه ،
وهي هنا ليست من النقصان ! وانما نستعرب لماذا لم اعترف
الدولة المحورية الكبرى رسمياً بالعراق المستقل وحكومته مع
انها تريد تأييداً منه كدوراً حركة القصر الشقيف ، فهذا

الاعتراف الرسمي شيء تكون له قيمته الخاصة .

فلما ان حركة العراق العربي الابي وثمة حجرة في تقدم العرب وتطور ادراكهم القومي الى اقامة الدعائم المادية التي ترتكز عليها نهضات الشعوب . فاحتلت آبار البترول ، وصارت النوك وشكلت بنات الرافدين الاهلي . وبهذه التدابير الممثلة للموسسة تركز النهضة القومية والاستقلال على قواعد صحيحة ودعائم مادية غير الهوائيات التي ما يرحنا نسمعها حول القومية من « صماء السمور وتآلقه » و « خصائص العبقريّة » و « الانبياء الروحي » وما اشبه .

حتى اذا ضمن العراق العربي استقلاله الصحيح وحياده انصرف بأسرع ما يمكنه الى تمرير جيشه وازالة ما يعوق تطوره الداخلي من بقايا بدائة وانقطاع ، ليكون اوفر انتاجا واقرى اقتصاداً وثقافة ، واسعد شعباً ، واشد بأساً على محاربة موقف عالمي قد يصح ويضع العرب امام معاهدة صلح جديدة تقدم فيها النتائج من السمور في القصص . وبالنتيجة ما حك جللك مثل ظفرك .

ماشت وثبة العراق الجبارة وكسرت ايدي الخوة الذين يحيطون عليها المؤامرات في مدن عربية معروفة ، وكان هؤلاء نفر لبسوا فاعلم موضع وجوههم .

فهرس

- ١ - مقدمة .
- ٢ - غرض الكتاب ونظرة عامة فيه .
- ٣ - الفلسفة في « الوعي القومي » .
- ٤ - « معني الوعي القومي » و « الرسالة القومية » .
- ٥ - الامة ، قضية القوميات ، العرب اليوم .
- ٦ - خلاصة ...
- تركز النهضة القومية .

انتهى طبع هذا الكتاب

في دار المنكسوف ،

٢٦ نوار ١٩٤١

114966296

8 15151332

AUC - LIBRARY



DATE DUE

16 APR 1980

A.U.C

28 MAY 2000

DS
63.1
Z88
K5
1941

1970

AUG



6

1